الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة

الولاية

٦٠

شهر صفر الخير ١٤٣٥هـ
شهر كانون الأول ٢٠١٣م
مجلة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

عظم الله لكم الأجر
باستشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

روى العلامة الزمخشري عن الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه: ((لقد قبض صلى الله عليه وآله وسلم وأن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة أعواني، فضجت الدار والأفنية، ملأ يهبط، وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هنيمة منهم، يصلّون عليه، حتى واريناه في ضريحه))(*)

(*) ربيع الأبرار للزمخشري: ج٣، ص٦٦، باب المراثي؛ نهج البلاغة بشرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص٥٤١.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

رئيس التحرير
السيد نبيل الحسني

سكرتير التحرير
محمد رزاق صالح

مدير التحرير
الشيخ وسام البلداوي

هيأة التحرير
السيد صفوان جمال الدين
السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي
أ.خالد جواد العلواني

التصميم والاخراج الفني
السيد علي ماميثة

من أبواب المجلة

١٢ في رحاب علوم القرآن

٢٤ مباحث عقائدية

٢٨ على مائدة البحث العلمي

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق-وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩: ١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩ | بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢ | موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org | بريد القسم info@imamhussain-lib.org

اقرأ في هذا العدد

٤ ❖ الحث على زيارة الحسين عليه السلام:
فضل صلاة الملائكة لزوار الحسين عليه السلام

٥ ❖ كلمة العدد:
زر الأربعين ماشياً

٦ ❖ إضاءات من سيرة العترة:
ما جرى بعد وفاة أبي طالب عليه السلام

١٠ ❖ قطوف دانية من السيرة الحسينية:
ما روي في كرامات الإمام الحسين عليه السلام (الحلقة ١)

١٢ ❖ في رحاب علوم القرآن:
بحوث في سورة البقرة (٣)

١٦ ❖ على ضفاف نهج البلاغة:
الموت وما بعده في نهج البلاغة

١٨ ❖ مدارات فكرية:
الفرق بين محبة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم

٢٠ ❖ فقه الأسرة وشؤونها:
الاستعانة باللّباقة واللطف في التعامل مع العائلة

٢٢ ❖ أخلاقك هويتك:
الفحش واللعن (٢)

٢٤ ❖ مباحث عقائدية:
الرضا بقضاء الله تعالى وقدره

٢٦ ❖ أعلام الشيعة:
الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه

٢٨ ❖ على مائدة البحث العلمي:
الخصوصية الزمانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام

٣٢ ❖ لفظ ومعنى:
أسماء الله الحسنى (الحلقة ٦)

٣٤ ❖ معاجز أهل البيت عليهم السلام:
أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

٣٥ ❖ فضائل العترة الطاهرة عليهم السلام:
منزلة علي عليه السلام كمنزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى

٣٦ ❖ قراءة في كتاب:
فتح الملك العلي

٣٨ ❖ لطائف الحكمة:
المال والبنون زينة الحياة الدنيا (٢)

٤٠ ❖ في أروقة الصحيفة السجادية:
على مائدة الصحيفة السجادية -مباحث الدعاء الاول (الحلقة ٣١)

٤٤ ❖ مصطلحات أدبية:
الأدب (litterature)

٤٦ ❖ ثمار الأقلام:
ادوارد جيبون

٤٨ ❖ مباحث فقهية:
مباحث كتاب الطهارة بين الفقه الإمامي والمذاهب الأربعة وفق منهج الخلاف الاستدلالي (الحلقة ٦)

٥٢ ❖ معارف عامة:
طب الأعشاب الصينية

٥٤ ❖ عبر من التاريخ:
كيف نشكر الله تعالى؟

٥٥ هل تعلم؟

إن الملائكة الموكلون بقبر الحسين عليه السلام جعل الله ثواب صلواتهم لزواره

عن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي المعزا، عن عنبسة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول:

«وكّل الله بقبر الحسين بن علي عليهما السلام سبعين ألف ملك يعبُدون الله عنده، شُعثاً غبراً يبكونه - أي الحسين عليه السلام - إلى يوم القيامة، يصلون عنده، الصّلاة الواحدة من صلاة أحدهم تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميّين، يكون ثواب صلاتهم وأجر ذلك لزوّار قبر الحسين بن علي عليهما السلام». (مستدرك المسائل للميرزا النوري: ج١٠، ص٢٤٢، برقم (٢٢/١١٩٣٢)؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٩٨، ص٥٦، ح٢٣)

إن زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم على كلّ مؤمن ومؤمنة

عن محمد بن الحسن، عن الحسن بن متيل، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال قال: حدثني أبو أيوب إبراهيم بن عثمان الخزاز، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنّ إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجل». (وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٤، ص٤٤٤، ح (١/١٩٥٦١)).

زيارة الحسين عليه السلام لمن أراد الشفاعة يوم القيامة

عن علي بن الحسين ومحمد بن الحسن رحمهم الله جميعاً، عن أحمد بن إدريس، عن عبيد الله بن موسى، عن الوشّاء، قال: سمعت الرضا علي بن موسى عليهما السلام يقول:

«إنّ لكلّ إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغّبوا فيه كان أئمّتهم شفعاءهم يوم القيامة». (علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج٢، ص٤٥٩، ح٣)

وجوب زيارة سيد الشهداء على الرجال والنساء

عن محمد بن جعفر الرزّاز، قال: حدّثني محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن أبي داود المسترق، عن أم سعيد الأحمسية، عن أبي عبد الله عليه السلام قالت: قال لي: «يا أمّ سعيد تزورين قبر الحسين عليه السلام؟».

قالت: قلت: نعم، فقال لي: «زوريه؛ فإنّ زيارة قبر الحسين واجبة على الرّجال والنّساء». (وسائل الشيعة للعاملي: ج١٠، ص٣٤٠، باب ٣٩، برقم (٣/١٩٥٥٠)).

حق الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة

عن محمد بن الحسن رحمهما الله، عن الحسن بن متيل، عن الحسن بن علي الكوفي، عن علي بن حسان الهاشمي، عن عبد الرحمن بن كثير مولى أبي جعفر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«لو أنّ أحدكم حجّ دهره، ثمّ لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركاً حقّاً من حقوق الله وحقوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ حقّ الحسين فريضة من الله، واجبةٌ على كل مسلم.

* إعداد: محمد رزاق صالح

زر الأربعين ماشيا

عزيزي القارئ الكريم، لم تكن كلمة (زر) فعل أمر واجب، بل هي تدعو إلى استحباب الزيارة مشيا على الأقدام لما في ذلك من عطاء إلهي عظيم ولكي لا نلام على هذه العبارة التي هي عنوان الكلمة (زر الأربعين ماشيا) نضع بين يديك الكريمتين بعض ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام للحث على ذلك، ولكي تعلم مقدار الربح والفوز الذي ستناله بهذه العبادة.

١ . ينقل عن كتاب نور العين عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حسينُ إنّه مَن خرج من منزل يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام، إن كانَ ماشياً كتبَ الله له بكلّ خطوةٍ حسنة، ومحا عنه سيّئة، وإن كان راكباً كتب الله له بكلّ حافر حسنةً، وحطّ بها عنه سيّئةً، حتّى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتّى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتّآ إذا اراد الانصراف أتاه مَلَكٌ فقال له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرئك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غفر الله لك ما مضى».

٢ . عن جابر المكفوف، عن أبي الصّامت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: «من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكّ خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيّئة، ورفع له ألف درجة».

٣ . عن أبي سعد القاضي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غُرَيْفَةٍ له وعندهُ مُرازم، فسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة وبكلّ قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل».

فإذا اعترض معترض على هذا الحدث الوارد عن أهل البيت عليهم السلام وقال أن الزيارة تؤدي إلى بعض الأذى بل قد يقع القتل أحياناً، فكيف تروجون لمثل هذه الزيارات لاسيما أن زيارة الأربعين ذات زخم شديد ترتفع فيها الخطورة أو الأذى؟ نجيب بأقوال أهل البيت عليهم السلام وكما يلي:

ألف: إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عدّ من علامات المؤمن زيارة الأربعين كما في قوله عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم».

باء: نلاحظ ثواب من زار الإمام الحسين عليه السلام وهو خائف وجل في قول الإمام الصادق عليه السلام إلى معاوية بن وهب: «يا معاوية، لا تدع زيارة الحسين عليه السلام لخوفٍ؛ فإنّ من تركه رأى من الحسرة ما يتمنّى أنّ قبره كان عنده، أما تحبّ أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والأئمة عليهم السلام؟ أما تحبّ أن تكون ممّن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر لك ذنوب سبعين سنة؟ أما تحبّ أن تكون ممّن يخرج من الدّنيا وليس عليه ذنب يتبع به؟ أما تحبّ أن تكون غداً ممّن يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟».

وعن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟ قال عليه السلام: «يؤمّنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقّاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك».

جيم: نلاحظ ثواب من قتل في سبيل زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام؛ فعن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل قلت: فما لمن قتل عنده ــ يعني قبر الحسين عليه السلام ــ جار عليه السلطان فقتله؟ قال: «أوّل قطرة من دمه يغفر له بها كلّ خطيئة، وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة حتى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أدناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه ويشرح صدره ويملأ إيماناً، فيلقى الله وهو مخلص من كل ماتخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألف من إخوانه، وتولى الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت، ويؤتى بكفنه وحنوطه من الجنة، ويوسّع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويفتح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطّرف من الجنة، ويرفع بعد ثمانية عشر يوما إلى حظيرة القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتى تصيبه النفخة التي لا تبقي شيئاً، فإذا كانت النفخة الثانية وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والأوصياء عليهم السلام ويبشّرونه ويقولون له: ألزمنا، ويقيمونه على الحوض فيشرب منه ويسقي من أحبّ».

وهناك روايات أخرى تشير إلى ثواب من أنفق في زيارته من مال أو من خرج العرق فإن عرقه سيكون غسلا لذنوبه، بل هناك ثواب بمن يضرب بسبب زيارة الإمام عليه السلام تركنا ذكرها لضيق المقام.

المشرف العام

ما جرى بعد وفاة أبي طالب عليه السلام

عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه على قبائل العرب وأهل الطائف

بعد أن توفي أبو طالب عليه السلام اشتد البلاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد ما كان فقد ذهب الركن الذي كان يأوي إليه وعندها وجدت قريش فرصتها فقد أخذت تنال منه وتؤذيه أشد الأذى وقد صممت على قتله وأخذت تتحرى الفرصة المناسبة لذلك.

وفي ذلك يقول ابن إسحاق: إن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه حتى نثر بعضهم على رأسه التراب فدخل بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته ـ وهي فاطمة عليها السلام ـ تغسل التراب عن رأسه وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها:

«يا بنية لا تبكي فإن الله مانع أباك». (السيرة النبوية لابن هشام؛ تاريخ الطبري: ج٢، ص٨٠)

وهذا يكشف عن حجم المعاناة التي مربها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة أبي طالب عليه السلام، كما يكشف عن جهاد أبي طالب ونصرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما دل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم ويكلّم كلّ شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلاّ أن يؤووه ويمنعوه ويقول: لا أكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالّذي أدعوه إليه، فذاك، ومن كره لم أُكرهه، إنّما أُريد أن تحرزوني ممّا يراد بي من القتل حتى أُبلغ رسالات ربّي وحتّى يقضي الله عزَّ وجلَّ لي ولمن صحبني ما شاء الله، فلمْ يقبله أحد منهم ولم يأت أحداً من تلك القبائل إلاّ قال: قوم الرَّجل أعلم به، أترون أنَّ رجلاً صلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه، فعمد إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يؤووه فوجد ثلاثة نفر منهم، هم سادة ثقيف يومئذ وهم إخوة: عبد ياليل بن عمرو، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو، فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك منه قومه، فقال أحدهم: أسرق أستار الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قطُّ، وقال الآخر: أعجزُ على الله أن يرسل غيرك، وقال الآخر: والله لا أُكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً، والله لئن كنت رسول الله لأنت أعظم شرفاً من أن أُكلّمك ولئن كنت تكذب على الله لأنت شرٌ من أن أُكلّمك، وتهزَّؤوا به وأفشوا في قومهم الذي راجعوه به، فقعدوا له صفّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله بين صفّيهم كان لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلاّ رضخوهما بالحجارة وقد كانوا أعدوها حتّى أدموا رجليه، فخلص منهم ورجلاه تسيلان دماً، فعمد إلى حائط من حيطانهم واستظلَّ في ظلّ شجرة منه وهو مكروبٌ موجع، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلمّا رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله، فلمّا رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عدَّاس وهو من أهل نينوى، معه عنب، فلمّا جاءه عدَّاس قال له رسول الله:

«من أيّ أرض أنت».

قال: أنا من أهل نينوى، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم:

«من مدينة الرَّجل الصّالح يونس ابن متّى؟».

فقال له عدَّاس: ما يدريك من يونس بن متّى؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان لا يحقّر أحداً أن يبلّغه رسالة ربّه ـ:

«أنا رسول الله والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متّى».

فلمّا أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس بن متّى خرَّ عدّاس ساجداً لله، وجعل يقبّل قدميه وهما تسيلان دماً، فلمّا بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلمّا أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت لمحمّد

وقبّلت قدميه ولم نرك فعلته لأحد منّا؟ قال: هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متّى، فضحكا وقالا: لا يفتننّك عن نصرانيّتك فإنّه رجلٌ خدّاع فرجع رسول الله إلى مكّة. (تاريخ الإسلام للذهبي: ج١، ص٢٨٤)

قال عليُّ بن إبراهيم بن هاشم: ولمّا رجع رسول الله من الطائف وأشرف على مكّة وهو معتمر كره أن يدخل مكّة وليس له فيها مجيرٌ فنظر إلى رجل من قريش قد كان أسلم سرّاً، فقال له: ائت الأخنس بن شريف فقل له: إن محمّداً يسألك أن تجيره حتّى يطوف ويسعى فإنّه معتمر فأتاه وأدّى إليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الأخنس: إنّي لست من قريش وإنما أنا حليف والحليف لا يجير على الصّميم وأخاف أن يخفروا جواري، فيكون ذلك مسبّة فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره وكان رسول الله في شعب حرّاء مختفياً مع زيد فقال له: ائت سهيل بن عمرو فسله أن يجيرني حتّى أطوف بالبيت وأسعى، فأتاه وأدّى إليه، فقال له: لا أفعل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اذهب إلى مطعم بن عديّ فسله أن يجيرني حتّى أطوف وأسعى».

فجاء إليه وأخبره فقال: أين محمّد، فكره أن يخبره بموضعه، فقال: هو قريب، فقال: ائته فقل له: إني قد أجرتك فتعال وطف واسع ما شئت، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال مطعم لولده واختانه وأخيه طعيمة بن عدي: خذوا سلاحكم فإني قد أجرت محمداً وكونوا حول الكعبة حتّى يطوف ويسعى، وكانوا عشرة فأخذوا السّلاح وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى دخل المسجد ورآه أبو جهل فقال: يا معشر قريش هذا محمّدٌ وحده وقد مات ناصره فشأنكم به، فقال له طعيمة بن عديّ فقال: يا عمُّ لا تتكلّم فإنَّ أبا وهب قد أجار محمّداً فوقف أبو جهل على مطعم بن عديّ فقال: يا أبا وهب أمجيرٌ أم صابئ؟ قال: بل مجيرٌ قال: إذاً لا يخفر جوارك، فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طوافه وسعيه جاء إلى مطعم، فقال:

«يا أبا وهب قد أجرت وأحسنت فردَّ عليَّ جواري».

قال: وما عليك أن تقيم في جواري؟ قال:

«أكره أن أُقيم في جوار مشرك أكثر من يوم».

قال مطعم: يا معشر قريش، إنَّ محمّداً قد خرج من جواري.

إسلام أهل المدينة وما جاء في بيعة العقبة

قال عليُّ بن إبراهيم: قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج وكان بين الأوس والخزرج حربٌ قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السّلاح لا بالليل ولا بالنّهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعاث وكانت الأوس على الخزرج فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكّة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنّه كان بيننا وبين قومنا حربٌ وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم، فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم ولنا شغل لا نتفرَّغ لشيء، قال: وما شغلتكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدَّعي أنّه رسول الله سفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا وأفسد شبّاننا وفرَّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطّلب، من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً، وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الّذين كانوا بينهم النّظير وقريظة وقينقاع أنّ هذا أوان نبيّ يخرج بمكّة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنّكم به يا معشر العرب، فلمّا سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالسٌ في الحجر وإنّهم لا يخرجون من شعبهم إلاّ في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمّه فإنّه ساحرٌ يسحرك بكلامه، وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشّعب، فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لابدَّ لي أن أطوف بالبيت؟ فقال: ضع في أذنيك القطن، فدخل أسعد المسجد وقد حشا أُذنيه من القطن، فطاف بالبيت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم فنظر إليه نظرة فجازه، فلمّا كان في الشّوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل منّي أيكون مثل هذا الحديث بمكّة فلا أتعرّفه حتّى أرجع إلى قومي فأُخبرهم، ثمَّ أخذ القطن من أُذنيه ورمى به وقال لرسول الله: أنعم صباحاً - وهو تحية المشركين قبل الإسلام مكان سلام عليكم - فرفع رسول الله رأسه إليه وقال:

«قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا تحيّة أهل الجنّة (السّلام عليكم)».

فقال له أسعد: إنَّ عهدك بهذا

لقريب إلامَ تدعو يا محمّد؟ قال:

«إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله وأدعوكم إلى:

((أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)).

فلمّا سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمّي أنا من أهل يثرب من الخزرج وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبالٌ مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعزَّ منك، ومعي رجلٌ من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمّم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله لقد كنّا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشّروننا بمخرجك ويخبروننا بصفتك وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك.

فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الّذي ساقني إليك والله ما جئت إلاّ لنطلب الحلف على قومنا وقد أتانا الله بأفضل ممّا أتيت له ثمَّ أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الّذي كانت اليهود تبشّرنا به وتخبرنا بصفته، فهلمّ وأسلم، فأسلم ذكوان ثمَّ قالا: يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلّمنا القرآن ويدعو النّاس إلى أمرك، فقال رسول الله لمصعب بن عمير وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضّلانه على أولادهم ولم يخرج من مكّة فلمّا أسلم جفاه أبواه وكان مع رسول الله في الشّعب حتّى تغيّر وأصابه الجهد فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلّم من القرآن كثيراً فخرجا هو مع أسعد إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير وقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله وخبره، فأجاب من كلّ بطن الرَّجل والرَّجلان.

وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة وكان يخرج في كلّ يوم ويطوف على مجالس الخزرج وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملّكوه عليهم لشرفه وسخائه وقد كانوا أتّخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها وذلك أنّه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بعاث ولم يعن على الأوس وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أُعين على الظّلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلمّا قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتر أمره.

فقال أسعد لمصعب: إنّ خالي سعد ابن معاذ من رؤساء الأوس وهو رجلٌ عاقل شريف مطاع في بني عمرو ابن عوف فإن دخل في هذا الأمر تمَّ لنا أمرنا فهلمَّ نأتي محلّتهم، فجاء مصعب مع أسعد إلى محلّة سعد ابن معاذ فقعد على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن فبلغ ذلك سعد بن معاذ فقال لأُسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أنَّ أبا أمامة أسعد ابن زرارة قد جاء إلى محلّتنا مع هذا القرشي يفسد شبّاننا فأته وانهه عن ذلك، فجاء أُسيد بن حضير فنظر إليه أسعد فقال لمصعب بن عمير: إنّ هذا رجلٌ شريفٌ فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمَّ أمرنا فأصدق الله فيه فلمّا قرب أُسيد منهم قال: يا أبا أمامة يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا ولا تفسد شبّاننا واحذر الأوس على نفسك، فقال مصعب أو تجلس فنعرض عليك أمراً فإن أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحّينا عنك ما تكرهه، فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلّي ركعتين، فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثمَّ خرج وعصر ثوبه، ثمَّ قال: اعرض عليَّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله، فقالها، ثمَّ صلّى ركعتين، ثم قال لأسعد:

يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن خالك، واحتال عليه في أن يجيبك، فرجع أُسيد إلى سعد بن معاذ، فلما نظر إليه سعد قال: أقسم أنّ أُسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الّذي ذهب من عندنا، فأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب:

((حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)).

فلمّا سمعها قال مصعب: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلّم فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلّى ركعتين ثمَّ قام وأخذ بيد مصعب وحوَّله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابنَّ أحداً، ثمَّ جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح يا بني عمرو بن عوف لا يبقينَّ رجلٌ ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبيٌّ إلاّ أن يخرج فليس هذا يوم ستر ولا حجاب، فلمّا اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم قالوا: أنت سيّدنا والمطاع فينا ولا نردُّ لك أمراً

فمرنا بما شئت، فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليَّ حرام تشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله والحمد لله الّذي أكرمنا بذلك وهو الّذي كانت اليهود تخبرنا به، فما بقي دارٌ من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلاّ وفيها مسلمٌ أو مسلمة وحوَّل مصعب بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية، وشاع الإسلام بالمدينة وكثر ودخل فيه من البطنين جميعاً أشرافهم وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام وكتب إليه مصعب بذلك وكان كلٌّ من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذَّبوه، فكان رسول الله يأمرهم بالخروج إلى المدينة وكانوا يتسلّلون رجلاً فرجلاً فيصيرون إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم، قال: فلمّا قدمت الأوس والخزرج مكّة جاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم:

«تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّكم وثوابكم على الله الجنّة؟».

قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربّك ما شئت، فقال:

«موعدكم العقبة في اللّيلة الوسطى من ليالي التشريق».

فلمّا حجّوا إلى منى وكان فيهم ممّن قد أسلم بشرٌ كثيرٌ، وكان أكثرهم مشركين على دينهم وعبد الله بن أُبيّ فيهم فقال لهم رسول الله في اليوم الثاني من أيّام التشريق: فاحضروا دار عبد المطّلب على العقبة ولا تنبّهوا نائماً وليتسلّل واحدٌ فواحد وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطّلب وحمزة وعليٌّ والعبّاس معه فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدَّار، فلمّا اجتمعوا قال لهم رسول الله:

«تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّكم وثوابكم على الله الجنّة؟».

فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام: نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربّك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«تمنعوني ممّا تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي ممّا تمنعون أهليكم وأولادكم».

قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال:

«الجنّة، تملكون بها العرب في الدُّنيا وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً».

فقالوا: قد رضينا، فقام العباس بن نضلة وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج تعلمون على ما تقدمون عليه، إنّما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض وعلى حرب ملوك الدُّنيا، فإن علمتم أنّه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغرُّوه، فإنَّ رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عزّ ومنعة، فقال له عبد الله بن حزام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التّيهان: ما لك وللكلام يا رسول الله؟ بل دمنا بدمك وأنفسنا بنفسك فاشترط لربّك ولنفسك ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً». (الخصال للصدوق: ص٤٩٢)

فقالوا: اختر من شئت فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم فقال: هذا نقيبٌ وهذا نقيبٌ حتّى اختار تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبد الله بن حزام، وأبو جابر بن عبد الله، ورافع ابن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الرَّبيع، وعبادة بن الصامت، وثلاثة من الأوس، وهم: أبو الهيثم بن التّيهان – وكان رجلاً من اليمن حليفاً في بني عمرو بن عوف –، وأُسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، فلمّا اجتمعوا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاح بهم إبليس يا معشر قريش والعرب هذا محمّدٌ والصباة من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبايعونه على حربكم فأسمع أهل منى فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النّداء فقال للأنصار: «تفرَّقوا».

فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لم أُؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم».

فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا، قال: «أنتظر أمر الله».

فجاءت قريش على بكرة أبيها (تاريخ الطبري: ج٢، ص٩٢) قد أخذوا السلاح وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعليٌّ ابن أبي طالب عليه السلام، فلمّا نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الّذي اجتمعتم عليه؟ قال: ما اجتمعنا وما ههنا أحد والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلاّ ضربته بسيفي فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أُبيّ وقالوا: قد بلغنا أنَّ قومك بايعوا محمّداً على حربنا فحلف لهم عبد الله أنّهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك وأنّهم لم يطلعوه على أمرهم فصدّقوه وتفرَّقت الأنصار ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكّة. (مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص٣٦٢؛ موجز السيرة النبوية: ص١٠٩)

* بقلم: السيد نبيل الحسني

(الحلقة ١)

ما روي في كرامات الإمام الحسين عليه السلام

١ ـ شفاء حبابة الوالبية بيده عليه السلام

روى ابن بابويه رضي الله عنه بإسناده عن صالح بن ميثم الأسديّ، قال: دخلتُ أنا وعباية بن ربعي على امرأة في بني والبة قد احترق وجهها من السّجود، فقال لها عباية، يا حبابة هذا ابن أخيك.

قالت: وأيّ أخ؟ قال: صالح بن ميثم. قالت: ابن أخي والله حقّاً، يا بن أخي ألا أحدّثك حديثاً سمعته من الحسين ابن علي عليهما السلام؟

قال: قلت بلى يا عمّة.

قالت: كُنت زُوارة الحسين بن عليّ عليهما السلام قالت: فحدث بين عيني وضح، فشقّ ذلك عليّ، واحتبست عليه أيّاماً فسأل عليه السلام عنّي:

«ما فَعَلَتْ حُبابَةُ الْوالِبِيَّةُ؟».

فقالوا: إنّها حدث بها حدث بين عينيها.

فقال لأصحابه: «قُومُوا إلَيْها»، فجاء مع أصحابه حتّى دخل عليّ وأنا في مسجدي هذا، فقال عليه السلام:

«يا حُبابَةُ ما أبْطَأ بِكِ عَلَيَّ؟».

قلت: يا بن رسول الله حدث هذا لي، [قالت:] فكشفت القناع، فتفل فيه الحسين بن علي عليهما السلام، فقال:

«يا حُبابَةُ أحْدِثي للهِ شُكراً، فإنَّ اللهَ قَدْ دَرَأهُ عَنْكِ».

قالت: فخررت ساجدة، قالت: فقال عليه السلام:

«يا حُبابَةُ إرْفَعي رَأسَكِ وَانْظُري في مِرآتِكِ».

قالت: فرفعت رأسي فلم أحس منه شيئاً، قالت: فحمدتُ الله، فنظر إليّ فقال عليه السلام:

«يا حُبابَةُ نَحْنُ وَشيعَتُنا عَلَى الْفِطْرَةِ وَسائِرُ النّاسِ مِنْها بَراءٌ».

وهذه العلاقة بين إمامنا أبي عبد الله الحسين وشيعته لم تزل ولن تنقطع في حياته وبعد استشهاده، فالكرامات التي يتشرف بها كثير من زوار حضرته وروضته لا تعد ولا تحصى.

٢ ـ إحياء الموتى بدعائه عليه السلام

عن أبي خالد الكابلي، عن يحيى بن أمّ الطويل، قال: كنّا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شابّ يبكي، فقال له الحسين عليه السلام: «ما يُبْكيكَ؟».

قال: إنّ والدتي توفّيت في هذه الساعة ولم توص، ولها مال وكانت قد أمرتني ألاّ أحدث في أمرها شيئاً حتّى أعلمك خبرها.

فقال الحسين عليه السلام:

«قُومُوا بِنا حَتّى نَصيرَ إلى هذِهِ الْحُرَّةِ».

فقمنا معه حتّى انتهينا إلى باب البيت الذي توفّيت فيه المرأة [وهي] مسجّاة.

فأشرف على البيت ودعا الله ليحييها، حتّى توصي بما تحبُّ من وصيّتها، فأحياها الله تعالى، فإذا المرأة جلست وهي تتشهّد، ثمّ نظرت إلى الحسين عليه السلام، فقالت: أدخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك، فدخل وجلس على مخدّة، ثمّ قال عليه السلام لها: «وَصّي، يَرْحَمُكِ اللهُ».

فقالت يا بن رسول الله [إنّ] لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا، وقد جعلتُ ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لابني هذا، إنْ علمت أنّه من مواليك وأوليائك، وإنْ كان مخالفاً فخذه إليك، فلا حقّ للمخالفين في أموال المؤمنين، ثمّ سألته أنْ يصلّي عليها وأن يتولّى أمرها، ثمّ صارت المرأة ميتة كما كانت.

٣ ـ ذهاب الحمّى عند دخوله عليه السلام

عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يحدّث عن آبائه عليهم السلام:

«أنّ مريضاً شديد الحمّى عاده الحسين عليه السلام، فلمّا دخل من باب الدار طارت الحمّى عن الرجل، فقال له: رضيت بما أوتيتم به حقّاً حقّاً، والحمّى تهرب عنكم.

فقال له الحسين عليه السلام: «وَاللهِ ما خَلَقَ اللهُ شَيْئاً إلاّ وَقَدْ أمَرَهُ بِالطّاعَةِ لَنا».

قال: فإذا نحن نسمع الصّوت ولا نرى الشخص يقول: لبّيك، قال عليه السلام:

«أليْسَ أميرُ المُؤمنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ أمَرَكِ ألاّ تَقْرَبي إلاّ عَدُوّاً أوْ مُذْنِباً لِكَيْ تَكُوني كَفّارَةً لِذُنُوبِهِ؟! فَما لِهذا؟».

فكان المريض عبد الله بن شدّاد بن الهادي الليثي».

٤ ـ نجاة المرأة بدعائه عليه السلام

عن محمّد بن الحسين، عن الحكم بن مسكن، عن أيّوب ابن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنّ امرأة كانت تطوف وخلفها رجل، فأخرجت ذراعها فمال بيده حتّى وضعها على ذراعها، فأثبت الله يده في ذراعها حتّى قطع الطواف، وأرسل إلى الأمير، واجتمع الناس وأرسل إلى الفقهاء، فجعلوا يقولون اقطع يده فهو الّذي جنا الجناية، فقال: ها هنا أحد من ولد محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: نعم الحسين بن علي عليهما السلام قدم اللّيلة، فأرسل إليه فدعاه فقال: أنظر ما لقيا ذان، فاستقبل القبلة ورفع يديه فمكث طويلاً يدعو، ثمّ جاء إليها حتّى خلص يده من يدها، فقال الأمير: ألا نعاقبه بما صنع؟ فقال [عليه السلام]: لا».

٥ ـ ظهور البستان والظبية

قيل: خرج الحسين بن علي عليهما السلام من المدينة قاصداً زيارة بيت الله الحرام، ومعه جمع كثير وجمّ غفير، فمرض من الرّكب رجل، فقال للحسين: أشتهي رمّاناً، فقال عليه السلام:

«هذا بُسْتانٌ فيهِ أنْواعُ الْفَواكِهِ فَامْضِ إلَيْهِ وَتَناوَلْ ما شِئْتَ».

ولم يعهد أحد قبل ذلك هناك أشجاراً وأثماراً ومياهاً، فلمّا شاهد الرّكب البستان دخلوا وتناولوا كلّما اشتهوا، ولمّا خرجوا غاب البستان عن نظرهم، وإذا هم بظبية فأشار الحسين عليه السلام إليها فأقبلت، ثمّ أمرها أن يذبحها أحد منهم، ولا يكسر لها عظماً إلى أن أكلوا لحمها فدعا عليه السلام بدعاء فعادت كما كانت، فقال عليه السلام:

«أيُّكُمْ يَشْتَهي أنْ يَشْرَبَ مِنْ حَليبِها فَلْيَحْلُبْها».

إلى أن شرب كلّهم من حليبها، وكفى الرّكب كلّهم ببركة الإمام الحسين عليه السلام ودعائه، ثمّ قال عليه السلام لها: «لَكِ خَشَفاتٌ تَنْتَظِرُكِ فَانْصَرِفي وَأرْضَعيهِنَّ»، فانصرفت.

٦ ـ اخضرار النّخلة اليابسة وإثمارها

روى الهيثم النّهدي عن إسماعيل بن مهران، عن محمّد الكناني، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«خرج الحسين بن علي عليهما السلام في بعض أسفاره ومعه رجل من ولد الزّبير بن العوام يقول بإمامته، فنزلوا في طريقهم بمنزل تحت نخل يابس من العطش، ففرش للحسين تحتها وبإزائه نخل ليس عليها رطب، قال: فرفع يده ودعا بكلام لم أفهمه، فاخضرّت النّخلة وعادت إلى حالها وحملت رطبا، فقال الجمّال الذي اكترى منه: هذا سحر والله، فقال الحسين [عليه السلام]:

«وَيْلَكَ إنَّهُ لَيْسَ بِسِحْرٍ وَلكِنَّها دَعْوَةُ ابْنِ نَبِيٍّ مُسْتَجابَةٌ».

ثمّ صعدوا النّخلة فجنوا منها ما كفاهم جميعاً».

٧ ـ إتيانه عليه السلام العنب والموز في غير أوانها

قال أبو جعفر: حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد، قال: حدّثنا سعيد بن شريف بن القطامي، عن زفر بن يحيى، عن كثير بن شاذان، قال: شهدت الحسين بن علي عليهما السلام وقد اشتهى عليه ابنه عليّ الأكبر عنباً في غير أوانه؛ فضرب بيده إلى سارية المسجد فأخرج له عنباً وموزاً فأطعمه، وقال عليه السلام:

«ما عِنْدَ اللهِ لأوْلِيائِهِ أكْثَرُ».

٨ ـ إرشاد الإعرابي إلى بعيره

روى بعض أصحابنا في كتاب له اسمه التّحفة في الكلام، قال: روى عبد الله بن عبّاس، قال: كنتُ جالساً عند الحسين عليه السلام فجاءه أعرابي وقال: ضلّ بعيري وليس لي غيره، وأنت ابن رسول الله أرشدني إليه، فقال عليه السلام:

«إذهَبْ إلى مَوْضِعِ كَذا فَإنَّهُ فيهِ، وَفي مُقابِلِهِ أسَدٌ».

فذهب إلى ذلك الموضع فوجده كما قال عليه السلام.

٩ ـ إرشاد الإعرابي إلى ناقته

روى السيّد وليّ بن نعمة الله الرضوي في كتاب مجمع البحرين في مناقب السّبطين نقلاً من كتاب البهجة، عن ابن عبّاس: أنّ أعرابيّاً قال للحسين عليه السلام: يا ابن رسول الله فقدت ناقتي ولم يكن عندي غيرها وكان أبوك يرشد الضّالّة، ويبلّغ المفقود إلى صاحبه، فقال له الحسين عليه السلام:

«إذهَبْ إلى الْمَوْضِعِ الْفُلانيّ تَجِدُ ناقَتَكَ واقِفَةً وَفي مُواجِهِها ذِئبٌ أسْوَدُ».

قال: فتوجّه الأعرابي إلى الموضع ثمّ رجع فقال للحسين عليه السلام يا ابن رسول الله وجدت ناقتي في الموضع الفلاني. (كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٦٤٠)

* إعداد: السيد نبيل الحسني

بحوث في سورة البقرة (٣)

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)).

قوله تعالى ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ...))، الخدعة نوع من المكر، والشيطان هو الشرير ولذلك سمي إبليس شيطاناً.

وفي الآيات بيان حال المنافقين.

وقوله تعالى: ((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...)) مثل يمثل به حالهم، إنهم كالذي وقع في ظلمة عمياء لا يتميز فيها خير من شر ولا نافع من ضار فتسبب لرفعها بسبب من أسباب الاستضاءة كنار يوقدها فيبصر بها ما حولها فلما توقدت وأضاءت ما حولها أخمدها الله بسبب من الأسباب كريح أو مطر أو نحوهما فبقي فيما كان عليه من الظلمة وتورط بين ظلمتين: ظلمة كان فيها وظلمة الحيرة وبطلان السبب.

وهذه حال المنافق، يظهر الإيمان فيستفيد بعض فوائد الدين باشتراكه مع المؤمنين في مواريثهم ومناكحهم وغيرهما حتى إذا حان حين الموت وهو الحين الذي فيه تمام الاستفادة من الإيمان ذهب الله بنوره وأبطل ما عمله وتركه في ظلمة لا يدرك فيها شيئا ويقع بين الظلمة الأصلية وما أوجده من الظلمة بفعاله.

وقوله تعالى: ((أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ...))، الصيب هو المطر الغزير، والبرق معروف، والرعد هو الصوت الحادث من السحاب عند الإبراق، والصاعقة هي النازلة من البروق.

وهذا مثل ثان يمثل به حال المنافقين في إظهارهم الإيمان، أنهم كالذي أخذه صيب السماء ومعه ظلمة تسلب عنه الأبصار والتمييز، فالصيب يضطره إلى الفرار والتخلص، والظلمة تمنعه ذلك، والمهولات من الرعد والصاعقة محيطة به فلا يجد مناصا من أن يستفيد بالبرق وضوئه وهو غير دائم ولا باق متصل كلما أضاء له مشى وإذا أظلم عليه قام.

وهذه حال المنافق فهو لا يحب

الإيمان ولا يجد بدا من إظهاره، ولعدم المواطأة بين قلبه ولسانه لا يستضيء له طريقه تمام الاستضاءة، فلا يزال يخبط خبطا بعد خبط ويعثر عثرة بعد عثرة فيمشي قليلا ويقف قليلا ويفضحه الله بذلك ولو شاء الله لذهب بسمعه وبصره فيفتضح من أول يوم. (الميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي عليه الرحمة والرضوان: ج١، ص٥٩)

قيل ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ)): كابن أبيّ وأصحابه، وكالأول والثاني وأضرابهما من المنافقين الذين زادوا على الكفر الموجب للختم والغشاوة والنفاق ولاسيما عند نصب أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة والإمامة.

ويدخل فيه كل من ينافق في الدين إلى يوم القيامة وإن كان دونهم في النفاق كما قال الإمام الباقر عليه السلام في حكم بن عتيبة: «إنه من أهل هذه الآية».

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام ما ملخصه إنه لما أمر الصحابة يوم الغدير بمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام بإمرة المؤمنين وقام أبو بكر وعمر إلى تسعة من المهاجرين والأنصار فبايعوه بها ووكّد عليهم بالعهود والمواثيق وأتى عمر بالبخبخة وتفرقوا، تواطأ قوم من متمرديهم وجبابرتهم بينهم لئن كانت بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كائنة ليدفعن هذا الأمر عن علي عليه السلام ولا يتركونه له وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون: لقد أقمت علينا أحبّ الخلق على الله وإليك وكفيتنا به مؤنة الظلمة لنا والجائرين في سياستنا وعلم الله تعالى من قلوبهم خلاف ذلك وإنهم مقيمون على العداوة ودفع الحق عن مستحقه فأخبر الله عنهم بهذه الآية.

((وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)): بل تواطؤوا على إهلاكك وإهلاك من أحبَّك وتحبه إذا قدروا وعلى التمرّد عن أحكام الله خصوصاً خلافة من استخلفته بأمر الله على أمّتك من بعدك لجحودهم خلافته وإمارته عليهم حَسَداً وعتواً.

قيل: أخرج ذواتهم من عداد المؤمنين مبالغة في نفي الإيمان عنهم رأساً.

((يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا)): يخادعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإبدائهم له خلاف ما في جوانحهم.

وإنّما أضاف مخادعة الرسول إلى الله لأن مخادعته ترجع إلى مخادعة الله كما قال الله عز وجل: ((مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ))، وقال: ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ))، وقال: ((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)).

ولك أن تقول معناه يعاملون الله معاملة المخادع كما يدل عليه مما رواه العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئل فيما النّجاة غداً؟ فقال: إنما النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم فإن من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان ونفسه يخدع لو يشعر.

قيل له: وكيف يخادع الله؟ قال: يعمل ما أمره الله عز وجل ثم يريد به غيره فاتقوا الله والريّاء فإنّه شرك بالله».

((وَمَا يَخْدَعُونَ)) وما يضرّون بتلك الخديعة، وقُرئ يُخادعون، ((إِلَّا أَنْفُسَهُمْ)) فإنّ الله غني عنهم وعن نصرتهم ولولا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم وطغيانهم، ((وَمَا يَشْعُرُونَ)) إن الأمر كذلك وإنّ الله يطلع نبيّه على نفاقهم وكذبهم وكفرهم ويأمره بلعنهم في لعنة الظالمين.

((فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)) قيل: نفاق وشكّ؛ وذلك لأنّ قلوبهم تغلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوصيّ والمؤمنين حقداً وحسداًوغيظاً وحنقاً وفي تنكير المرض وإيراد الجملة ظرفية إشارة إلى استقراره ورسوخه وإلا لقال: قلوبهم مرضى.

((فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)) بحيث تاهت له قلوبهم.

((وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) أي عذاب مؤلم يبلغ إيجاعه غاية البلوغ بسبب كذبهم أو تكذيبهم على اختلاف القراءة فإنّ وصف العذاب بالأليم إنّما يكون للمبالغة وهو العذاب المعدّ للمنافقين وهو أشد من عذاب الكافرين لأنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النار.

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)) بإظهار النّفاق لعباد الله المستضعفين فتشوشوا عليهم دينهم وتحيروهم في مذاهبهم، ((قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)) لأنّا لا نعتقد ديناً فنرضي محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم في الظاهر ونعتق أنفسنا من رقّه في الباطن وفي هذا صلاح حالنا.

((أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)) بما يفعلون في أمور أنفسهم لأن الله يعرّف نبيّه نفاقهم فهو يلعنهم ويأمر المسلمين بلعنهم ولا يثق بهم أيضاً أعداء المؤمنين لأنهم يظنون أنّهم ينافقوهم أيضاً كما ينافقون المؤمنين فلا يرتفع لهم عندهم منزلة ولهذا رد عليهم أبلغ رد، ((وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)).

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ)) قال لهم: خيار

المؤمنين، ((آمِنُوا)) قيل هو من تمام النّصح والإرشاد فإن كمال الإيمان إنّما هو بالإعراض عمّا لا ينبغي المقصود من قوله: ((لَا تُفْسِدُوا)) والإتيان بما ينبغي المطلوب بقوله: ((آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ)) المؤمنون: كسلمان والمقداد وأبي ذرّ وعمّار، وقيل: أي الكاملون في الإنسانية العاملون بمقتضى العقل أي آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص مبّرأ عن شوائب النّفاق، ((قَالُوا)) في الجواب لمن يفيضون إليه لا لهؤلاء المؤمنين فإنّهم لا يجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب، ((قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ)) المذلون أنفسهم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا اضمحل أمره أهلكهم أعداؤه.

((أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ)) الأخفّاء العقول والآراء الذين لم ينظروا حقّ النّظر فيعرفوا نبوّته وثبات أمره وصحّة ما ناطه بوصيّه من أمر الدين والدنيا فبقوا خائفين من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ومن مخالفيهم ولا يأمنون أيّهم يغلب فيهلكون معه فإن كلاّ من الفريقين يقدّر أن نفاقهم معه كنفاقهم مع الآخر، ((وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)) إن الأمر كذلك وإنّ الله يطلع نبيّه على أسرارهم فيخسأهم ويسقطهم.

((وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا)) بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفّار بعد بيان مذهبه وتمهيد نفاقهم فإنّهم كانوا يظهرون الإيمان لسلمان وأبي ذر ومقداد وعمّار ((وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ)) أخدانهم من المنافقين المشاركين لهم في تكذيب الرسول ((قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ)) أي في الدين والاعتقاد كما كنّا ((إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)) بالمؤمنين.

((اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)) يجازيهم جزاء من يستهزئ به إمّا في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم وأمره الرسول بالتعريض لهم حتى لا يخفى من المراد بذلك التعريض، وإمّا في الآخرة فبما روي أنّه يفتح لهم وهُم في النار باباً إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب وذلك قوله تعالى: ((فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام ما يقرب من معناه في حديث طويل، ((وَيَمُدُّهُمْ)) يمهلهم ويتأتى بهم برفقه ويدعوهم إلى التوبة ويعدهم إذا أنابوا بالمغفرة ((فِي طُغْيَانِهِمْ)) قيل: في التعدي عن حدّهم الذي كان ينبغي أن يكون عليه ((يَعْمَهُونَ)) لا يرعوون عن قبيح

ولا يتركون أذى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قيل تعمى قلوبهم والعمه عمى القلب وهو التحيّر في الأمر.

((أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى)) باعوا دين الله واعتاضوا منه الكفر بالله، ((فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ)) ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة لأنهم اشتروا النار وأصناف عذابها بالجنة التي كانت معدة لهم لو آمنوا ((وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)) إلى الحق والصواب.

ولا لطرق التجارة لأنّ المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء أضاعوا رأس مالهم الذي هو الفطرة السليمة بما اعتقدوه من الضلالات ولم يربحوا.

((مَثَلُهُمْ)) حالهم العجيبة قيل: إنما يضرب الله الأمثال للناس في كتبه لزيادة التوضيح والتقرير فإنها أوقع في القلب وأقمع للخصم الألدّ لأنّها تري المتخيّل محقّقاً والمعقول محسوساً، ((كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا)) طلب سطوع النار ليبصر بها ما حوله، ((فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ)) قيل: أي النار ما حول المستوقد أو استضاءت الأشياء التي حوله إن جعلت أضاءت لازمةً، ((ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)) بإرسال ريح أو مطر أطفأها وذلك أنهم أبصروا بظاهر الإيمان الحق والهدى وأعطوا أحكام المسلمين من حقن الدم وسلامة المال فلمّا أضاء إيمانهم الظاهر ما حولهم أماتهم الله وصاروا في ظلمات عذاب الله في الآخرة لا يرون منها خروجاً ولا يجدون عنها محيصا، ((وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)) في العيون عن الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه ولكنّه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف وخلّى بينهم وبين اختيارهم.

((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ)) يعني في الآخرة كما قال عز وجل: ((وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا)).

وفي الدنيا أيضاً عمّا يتعلّق بالآخرة من العلوم والمعارف ولذلك يحشرون يومئذ كذلك قال الله تعالى: ((لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا)) يعني أمور الآخرة في الدنيا، وقال أيضاً: ((فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) وقال أيضاً: ((وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ))، ((فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)) عن الضلالة إلى الهدى لا يرجعون.

((أَوْ كَصَيِّبٍ)) قيل: يعني أو مثل ما خوطبوا به من الحق والهدى كمثل مطر إذ به حياة القلوب كما بالمطر حياة الأرض، ((مِنَ السَّمَاءِ)) من العلو، ((فِيهِ ظُلُمَاتٌ)) مثل للشّبهات والمصيبات المتعلقة به ((وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)) مثل للتخويف والوعيد والآيات الباهرة المتضمنة للتبصير والتسديد ((يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)) لئلا يخلع الرّعد أفئدتهم أو ينزل البرق بالصاعقة عليهم فيموتوا فإن هؤلاء المنافقين فيما هم فيه من الكفر والنفاق كانوا يخافون أن يعثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كفرهم ونفاقهم فيقتلهم ويستأصلهم فإذا سمعوا منه لعناً أو وعيداً لمن نكث البيعة جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا فتتغيّر ألوانهم فيعرفوهم المؤمنون أنّهم المعنيّون بذلك، ((وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)) مقتدر عليهم إن شاء أظهر لك نفاق منافقيهم وأبدى لك أسرارهم وأمرك بقتلهم.

((يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ)) يذهب بها وذلك لأنّ هذا مثل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق ولم يغضّوا عنه أبصارهم ولم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألئه ولم ينظروا إلى الطريق الذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي يشاهدونها ولا يتبصرون بها ويجحدون الحق فيها يبطل عليهم سائر ما عملوه من الأشياء التي يعرفونها فإن من جحد حقاً أدّاه ذلك إلى أن يجحد كلّ حقّ فصار جاحده في بطلان سائر الحقوق عليه كالناظر إلى جرم الشمس في ذهاب نور بصره، ((كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ)) ظهر لهم ما اعتقدوه أنه الحجّة، ((مَشَوْا فِيهِ)) وهؤلاء المنافقون إذا رأوا ما يحبّون في دنياهم فرحوا ببيعتهم وتمنوا بإظهار طاعتهم، ((وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا)) وقفوا وتحيّروا وهؤلاء المنافقون إذا رأوا في دنياهم ما يكرهون وقفوا وتشاءموا ببيعتهم التي بايعوها قيل مثل اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يتطلع إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أشاء لهم وتحيّرهم وتوقّفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم.

[وإنما قال مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا] لأنّهم حرّاص على المشي كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ)) حتى لا يتهيأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم أنت وأصحابك فتوجب قتلهم ((إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) لا يعجزه شيء. ((تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج١، ص٧٥)

* إعداد: السيد نبيل الحسني

الموت وما بعده في نهج البلاغة

إن الإسلام اهتم اهتماماً بالغاً بموضوع الموت وما بعده باعتبار أنه حقيقة واقعة لا مفرّ منها ولا ملجأ، وذلك عبر الآيات والروايات الكثيرة وكذلك لأمير المؤمنين عليه السلام في كلامه اهتمام شديد بهذا الموضوع، وهذا ما ينبه الإنسان إلى ضرورة الالتفات إلى هذه المرحلة من مراحل المسيرة الإنسانية.

الخوف من الموت

إن الخوف من الموت شعور ينتاب الكثيرين ويجعلهم يعيشون حالة القلق، وإن قلبهم ليخفق دائماً ويضطرب عندما يسمعون عن الموت وما بعد الموت وأنه ملاقيهم.

والشعور بالخوف ونوعه يختلف من إنسان إلى آخر، فالملحد مثلاً يرهب الموت رهبة عظيمة لأنه يعتقد أنه فناء، بخلاف المؤمن فإنه أقل خوفاً من الموت لأنه مؤمن بأن الموت حياة جديدة، ومن المؤمنين المتقين من يستأنس بذكر الموت ويستبشر به.

ويحدثنا عنهم أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين يقول:

«ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب».

ويصف عليه السلام حال ضعيفي الإيمان مع الموت بقوله عليه السلام:

«إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم، دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة».

ولكن يبقى الموت حقيقة ثابتة لا تتغير حيث الكل مفارق لدنياه سواء أحبّ الموت أم أبغضه.

أما إمام المتقين عليه السلام فله شأن آخر مع الموت، فهو المطمئن برحمة الله ومحبته له، فقد كانت حياته كلُّها في سبيل الله الباقي بعد فناء كل شي ء.

يقول عليه السلام: «فإن أقل يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا: جزع من الموت! هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمِّه».

«أما قولكم: أكل ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي، دخلت إلى الموت أو خرج الموت إلي».

لماذا الخوف

ليس غريباً أن يخاف ويجزع غير المؤمن من الموت لأن حياته التي قضاها بالمعصية والفساد والظلم، جعلت آخرته مظلمة ومخيفة، فكيف له أن يطمئن؟

اسمعوا إلى الإمام عليه السلام كيف يصف هذا الصنف حال موته: «... وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون، فغير موصوف ما نزل بهم.

اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيَّرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وإنه لبين أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه، على صحة من عقله، وبقاء من لبِّه، يفكر فيما أفنى عمره، وفيما أذهب دهره، ويتذكر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها،... فهو يعض يده ندامة... فلم يزل الموت يبالغ في جسده ...».

وللتقي شأن آخر

فيما التقي يقدم على ربِّ رحيم، وقد جاهد نفسه وأطاع ربَّه، فلماذا الخوف إذن؟

يقول الإمام علي عليه السلام مطمئناً المتقي بعد موته: «(التقوى) ومصابيح لبطونِ قبوركم، وسكناً لطول وحشتكم، ونفساً لكرب مواطنكم».

فلتعلم إذن أن سعادتك وشقاءك لقاء عملك كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الصدقة دواء منجح، وأعمال العباد في عاجلهم، نُصب أعينهم في آجالهم».

فعليك إذن أن تستعد لمرحلة ما بعد الموت.

الاستعداد للموت وعدم الغفلة عنه

ولأمير المؤمنين عليه السلام كلام كثير في الاستعداد للموت، وهو عليه السلام كان المستعد لهذه الساعة.

يقول عليه السلام مشيراً إلى استعداده: «والله ما فاجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلاّ كقارب ورد، وطالبٍ وجد، وما عند الله خير للأبرار».

وها هو عليه السلام من قلب شفيق ينصح الناس ليستعدوا لهذه الساعة التي لا بد منها.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «واستعدوا للموت فقد أظلَّكم».

ويحذّر من الغفلة عنه: «فيا لها حسرة على كلِّ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجَّة».

ذكر الموت

ولأجل أن لا تغفل عن الموت، وتكون

مستعداً لهذه الساعة، عليك أن تذكرها دائماً، ليس ذكر الخوف والقلق واليأس، بل ذكر الطمأنينة وإعمار الحياة، وكبح جماح الشهوات وارتكاب المعاصي لأن ذكر الموت هو من أهم المنبهات إلى طريق الاستقامة.

يقول الإمام عليه السلام في ذكر الموت: «.. وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه... ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنغِّص الشهوات، وقاطع الأمنيات، عند المساورة. «ضع منخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك».

إن العبد بعد موته وبعد أن يفرغ من حسابه فلا بد له من مقرٍ يسكنه، فهنا تظهر الوجوه فإما أن تكونَ ناعمة ناظرة إلى ربها ناضرة لسعيها راضية وإما أن تكون عليها غبرة ترهقها قترة، أي إما أن يكون من أهل الجنة أو من أهل النار.

يقول عليه السلام: «وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به».

ويقول عليه السلام في موضع آخر: «فكفى بالجنة ثواباً ونوالاً وكفى بالنار عقاباً ووبالاً».

ونراه قد وصف لنا الجنة والنار وكأنه قد رآهما وعاينهما.

من هنا علينا أن لا نغفل عن السعي في فكاك رقابنا من النار خصوصاً أن باب التوبة ما زال مفتوحاً أمام الطالبين ولا نسوِّف إلى أن يحين الأجل فعندها لا نرى من أعمالنا ما نستحق به دخول الجنة وتجنب النار يقول مولى الموحدين عليه السلام: «فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها».

وأيضاً: «وإياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك في طلب الدنيا».

بعض ما يوجب دخول النار

١: القتل

إن من أبرز ما يوجب دخول النار هو سفك الدماء المحترمة التي حرَّم الله قتلها، وذلك ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء، يوم القيامة».

٢: كثرة الكلام قد يورد النار

يقول عليه السلام: «ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار».

٣: الإمام (السلطان) الجائر

يقول عليه السلام: «وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضُلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة».

٤: من كان خصماؤه المساكين

يقول عليه السلام: «... وإلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبؤسى لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون، والغارمون وأبناء السبيل، ومن استهان بالأمانة، ورتع في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه عنها».

بعض ما يقرّب من الجنة

١: طاعة الإمام

طاعة ولي الأمر هي من الأمور المهمة التي تدخل الجنة لأنه بطاعته يكون الإنسان قد أدَّى التكليف المفترض عليه لأنه أعرف بمصالح الأمة ومفاسدها وأن الله تعالى أكدَّ على هذه المسألة في القرآن الكريم: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم».

ويقول الإمام علي عليه السلام في هذا المجال: «وإنما الأئمة قوَّام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه فإن أطعتموني فإني حاملكم إنشاء الله على سبيل الجنة».

٢: أداء الفرائض

إن من أفضل الأعمال عند الله عز وجل هو أداء الفرائض المتوجبة على الإنسان لأن الله تعالى إنما يُعبد بأدائها على نحو الخلوص إليه تعالى في النية ومن يفعل ذلك فإن مثواه الجنة لأنه أدى ما عليه.

لذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الفرائض، الفرائض: أدّوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة».

٣: صدق النية

إنما الأعمال بالنيات وإن لكل امرىء ما نوى وبالنية يجازى الإنسان على عمله إن كانت خالصة لوجه الله تعالى خالية من الرياء فعندها تؤدي بصاحبها إلى الجنة.

يقول إمامنا عليه السلام: «وإن الله يُدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة».

٤: الجهاد في سبيل الله

هو من أفضل الأبواب التي تورد إلى الجنة لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى وحفظ الأمة وتقوية شوكتها وبما فيها من الانتصار للمؤمنين والمستضعفين وكسر شوكة المستكبرين، لذلك في الجنة باب باسم الجهاد يرد منه المجاهدون الذين انتصروا إما بدمائهم وشهادتهم أو بالعزة التي منحوها للأمة بثباتهم وإخلاصهم وعزيمتهم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه ...».

في الختام

إن طريق الجنة وطريق النار واضحان، ويمكن أن يختبر ذلك كل واحد منا داخل نفسه من خلال سلوكه مع قليلٍ من المراقبة للنفس ومسلكها، فإن طريقَ الجنة طريق صعب مستصعب لأن الإنسان في هذا الطريق سوف يتنازل عن كثير من شهواته وملذاته الشخصية التي تحصل بغير رضا الله ولا يراعى فيها مصلحة الآخرين والمصلحة الأخروية فلذلك تسمى بطريق ذات الشوكة وكل هذا الألم ألم آنيّ ينقضي بانتهاء الدنيا حتى يحل مكانه السعادة الأبدية والدائمة. هذا بخلاف طريق النار المحفوف بالشهوات والملذات وما يزينّه الشيطان وأعوانه للإنسان حيث يزين له القبيح ويقبِّح له الحسن حتى يصل الإنسان في هذا الطريق إلى مرحلة الاغترار بالإثم.

لذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الجنة حفَّت بالمكاره وإن النار حفَّت بالشهوات».

ويقول صلى الله عليه وآله في موضع آخر: «وليكن همّك فيما بعد الموت».

لأن ما بعد الموت هو الحياة الأبدية الدائمة... الموت يأتي بغتة فما أسرع الملتقى، فعلينا أن نتهيأ لهذه اللقيا ونتزود بخير الزائد: «فإن كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى».

* إعداد: الشيخ وسام البلداوي

الفرق بين محبة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم

جعل الله تعالى موّدة أهل بيت رسوله أجراً لأداء رسالته، وأعطى بقيّة الأنبياء أجورهم بصورةٍ أخرى، وهذا المضمون نراه في آيات متعدّدة في القرآن يبيّن لسان حال عدد من أنبيائه فيقول:

((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)). (سورة الشعراء، الآية: ١٠٩)

وهذا أفضل دليل على شرف وعظمة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم أعطاه الله سبحانه إيّاه.

نعم، هو الوحيد الذي أمِرَ الناس أن يُحبّ أهل بيته كأجرٍ لأداء رسالته.

الفرق بين المحبّة والمودّة

أشارت آية المودّة إلى نكتة لطيفة نطرحها على شكل تساؤل وهو:

لماذا أراد الله تعالى من أمّة خاتم الأنبياء المودّة وليس المحبّة، ولم يقل: إلاّ المحبّة في القربى؟

ما الفرق بين المودّة والمحبّة، أليست الكلمتان مترادفتين؟

في الجواب على هذا التساؤل نقول: بالنظر إلى الروايات الواردة في تفسير هذه الآية المباركة ومصادر أهل اللّغة يظهر أنّ المحبّة بمعنى الحبّ المجرّد، والمودّة بمعنى إظهار الحبّ.

بعبارة أوضح: إنّ المحبّة حبّ واقع في القلب فقط؛ لذلك لو نظر الإنسان إلى شيء يحبّه ويتلاءم مع طباعه ويكون ذا فائدة له يميل بطبعه إليه ويقع حبّه في قلبه.

أمّا المودّة: فهي مرحلة تأتي بعد المحبّة بعد الانجذاب والميل القلبي، وهي السعي في إظهار المحبّة.

لذلك ترى الإنسان الذي يودّ محبوبه يتحدّث به أينما يذهب ويحلّ، يتفقّده ويحيي ذكره في قلبه، ويذكره في كلّ حديث أو في كلّ كتابةٍ، ولا يتوانى في التضحية بكلّ غالٍ ونفيس من أجل سماع خبرٍ عن أوصاف وصفات محبوبه، أو في نشر فضائله وكمالاته، ويسعى دائماً أن يكون في مقدّمة من يكسبون رضا المحبوب وتنفيذ متطلّباته، ويبتعد عمّا يغضبه، ويؤدّي أي عملٍ من شأنه أن يقرّبه أكثر من محبوبه، كلّ هذا من أجل الفوز برضا المحبوب والدنوّ منه أكثر فأكثر.

والدليل على هذا المعنى: إنّه لا توجد في القرآن الكريم آية تعبّر عن حبّ العباد لله سبحانه بالمودّة، لكن العكس صحيح، وهي قوله تعالى:

((إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)). (سورة

هود، الآية: ٩٠)

وآية أخرى هي قوله تعالى:

((وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ)). (سورة البروج، الآية: ١٤)

لعلّ استعمال كلمة المودّة بهذا المعنى يشعر بأنّ المحبّ يراعي حال محبوبه من دون أن يلتفت لمصالحه الشخصية، ويصحّ هذا المعنى فقط بخصوص محبّة الباري تعالى لعباده، ولم تكن محبّة العباد لله تعالى بهذا المعنى، إلا عباد الله المخلصين وهم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا هو أحد الأسرار الخفيّة في تعبير الآية بـ(المودة) بدل: المحبّة.

يقول الراغب الأصفهاني أحد الأعلام المعروفين: (مودّة الله لعباده هي مراعاته لهم). (مفردات غريب القرآن: ص٥١٧)

المودّة هبة الله

إنّ الله سبحانه وتعالى عبّر عن المحبّة الشديدة بين الزوج والزوجة بالمودّة، حيث قال سبحانه:

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)). (سورة الروم، الآية: ٢١)

بلا شكّ أنّ المحبّة التي بين الزوج والزوجة ليست محبّة قلبية فقط، بل هي محبّة نابعة من القلب وتسري إلى كلّ أعضاء وجوارح الزوجين، حيث يُظهر كلّ منهما محبته للآخر عن طريق التضحية، وفي كثير من الأحيان تصل هذه المحبّة إلى أوجها بينهما، فيقدّم كلّ منهما تلبية طلبات محبوبه على أمنياته، ويضحّي من أجله بالغالي والنفيس، ويسعى الطرفان لإسعاد كلّ منهما الآخر.

وهذه هي المحبة الشديدة التي زيّنها الله تعالى بتعبير (المودّة) التي أهداها للزوج والزوجة؛ لكي يبدأا حياتهما على أساسها، ويحصلا على السعادة الأبديّة من خلالها، ويتمكّنا من تربية جيل صالح للمجتمع الإنساني، ويفكّرا في ذلك ويدركا ـ في خضمّ هذه المودّة الصميمية ـ العلامات الكثيرة في إظهار قدرة الباري تعالى التي جعلها في آية المودّة؛ إذ إنّه تعالى لم يقل عبثاً في آخر الآية: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)).

ولعلّ إحدى العلامات والتوجيهات الحسّيّة في معنى المودّة التي جعلها الله تعالى أجراً لأداء الرسالة النبوية، هي عبارة عن: التضحيّة من أجل المحبوب، وتلبية متطلّباته، والسير قُدماً نحو إسعاده؛ لذلك جعل الله سبحانه وظيفة عباده لأهل بيت نبيّه عليهم السلام المودّة.

وإذا أراد شخص ما أن يودّ أئمّته ينبغي عليه أن يراعي أحوال تلك الذوات الطاهرة، وأن يجدّد العهد معهم، ويسعى لتحقيق أهدافهم ومرادهم، ويكون دائم البحث عن سعادة ورضا من انتخبهم الباري تعالى، وأن يقدّم ويُظهر ويفضّل محبتهم على محبّة أقربائه وذويه.

محبّة أهل البيت عليهم السلام فوق كلّ محبّة

والدليل على هذا العنوان هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه ويكون عترتي أحبّ إليه من عترته...». (أمالي الشيخ الصدوق: ص٤١٤)

إنّ في هذا الحديث نكتة لطيفة تعدّ إحدى القوانين المسلّمة بها في وادي المحبّة وهي: عدم الاكتفاء ـ في المحبّة الصادقة الصحيحة ـ بالمحبّة القلبيّة، بل في عرف كلّ الأمم والشعوب أنّ محبّة شخص للمقرّبين إليه ـ مثل الزوج، الابن، الأب، الأم ـ تتحقّق عندما يسعى ربّ العائلة ـ الأب ـ بكلّ جهده وما يستطيعه من توفير الطعام والملابس والسكن والطمأنينة لعائلته المكوّنة من الزوجة والأبناء، والزوجة بدورها تسعى بكلّ جهدها بالحفاظ على نظافة الأبناء والبيت وتهيئته للهدوء والاستراحة، ففي هذه الحالة تكون المحبّة بينهما مقبولة عند الجميع؛ لأنّهما يسعيان لتوفير كلّ متطلّبات الطرف الآخر.

بالأخذ بهذا الأصل المسلّم، ينبغي أن تكون علاقة الإنسان بنبيّه وأهل بيته عليهم السلام أكثر ارتباطاً ووثاقةً من علاقته بعائلته.

إذا أراد الإنسان أن يودّ أهل بيت نبيّه عليهم السلام وليس حبّهم، ينبغي عليه أن لا يكتفي بالمحبّة القلبيّة التي يكنّها لهم، بل عليه أن يظهر تلك المحبّة بكلّ ما يستطيع، ويكسب رضاهم، وأن لا يفكّر في مصالحه الشخصيّة في هذا الطريق، بل ينبغي عليه في بعض الأحيان أن يضحّي بكلّ ما يملك من مالٍ ونفسٍ فداءً لأئمة الرحمة الإلهية وأهدافهم الطاهرة؛ حتّى يحصل على سعادة الدنيا والآخرة، كأصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين بذلوا أعزّ ما لديهم من دون تردد وهي أنفسهم فداءً لمولاهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

نعم، في هذه الحالة يكون الإنسان قد عَمِلَ بتكليفه تجاه أئمّته وهو مودّتهم وهي عنوان لأجر الرسالة، ويكون بذلك قد حصل على الإيمان، ويطلق عليه عنوان المؤمن.

وبهذا يتّضح سبب جَعْل الله سبحانه أجر الرسالة المودّة وليس المحبّة. (أسرار فضائل فاطمة عليها السلام: ص١٩)

* إعداد: الشيخ وسام البلداوي

الاستعانة باللّباقة واللطف في التعامـــل مـــع العائلة

الالتزام باللّباقة والأدب بين الزوجين في التعامل اليومي يؤدي إلى مزيد من العلاقة الحميمة بينهما.

وقد يسأل سائل: ما هي حدود اللّباقة؟ وما هي حدود الأدب؟

إن كل ما نلتزم به بيننا وبين الناس، لابدّ أن نلتزم به بيننا وبين الشريك الآخر أيضاً.

تُرى، كيف نتعامل مع إنسان غريب؟ هل نستعمل معه الكلمات الجارحة؟ وهل نقاطعه حين الحديث؟ وهل نفتح الرسائل المرسلة إليه؟ وهل ندسّ أنوفنا في أموره الشخصية؟

وإذا لم نكن نفعل ذلك مع أي غريب، فهل يجوز أن نفعل كل ذلك مع الشريك الآخر؟!

لماذا يسمح بعض الأزواج لأنفسهم، أن يدسُّوا أنوفهم في أمور زوجاتهم الشخصيّة التي لا تخصّ غيرهنّ؟

ولماذا يسمح بعض الأزواج لأنفسهم بإهانة الزوجة، وبمقاطعة كلامها، وبفتح الرسائل الموجّهة إليها، وهم لا يفعلون ذلك مع الآخرين؟

إن الثقة إذا كانت قائمة بين الزوجين فلا يجوز أبداً أن يقطعا يقيناً بالشك، فالغيرة الزائدة، من أي طرف كان، مفسدة له، كما جاء في الروايات.

يقول الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام:

«إيّاك والتغاير في غير موضع غِيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السَّقَم، والبريئة على الرَّيب».

إن البعض منا قد يحمّل زوجته مسؤولية إخفاقه في الحياة، أو يملأ أجواء أسرته بسلبيات همومه الخارجية، فحينما يعود إلى الدار، يملؤها بمشاكل السوق التي لا تمت إلى عائلته بصلة، ومن ثم يجعل من نفسه صاحب ظل ثقيل على أهله.

والبعض الآخر يفعل ما هو أفظع من ذلك، فهو يُدخل أتعاب العمل إلى الدار، وراحة الدار إلى العمل، فلا يرتاح في البيت، ولا يعمل في السوق.

إن علينا أن نعوّد أنفسنا على أن نخلع همومنا الخارجية عند عتبة الدار، كما نخلع أحذيتنا عندها، حتى لا نؤذي أسرتنا، ونُحمّلها مشاكلنا وشقاءنا وهمومنا التي لا صلة لها بها.

يقول أحد المفكرين: إن الرجل يترك أهم الأحداث في حياته نهباً للظروف، وذلك عندما يدع أمر سعادته أو شقائه، بين يدي الحظ وحده.

وكل رجل يعرف أن يغري امرأته على أن تفعل من أجله أيّ شيء.

ولكنّه بدل ذلك يعنّف معها، فإذا به يؤذيها، ولا يحصل منها على ما يريد.

بينما لو أنه أهدى لها بين الفينة والفينة شيئاً من الهدايا، التي لا تكلف مالاً يذكر، مكافأة لها على حسن التدبير، أو مكافأة لها على إجادة عمل من الأعمال الزوجية، لَمَلَكَ قلبها ولبّها وعواطفها جميعاً.

وكل رجل يعرف أنه لو مدح شيئاً في زوجته، كثوب، أو طعام، معين، وحتى لو كان ذلك في نظرها لا يساوي شيئاً، فإنه في الواقع، يدفعها إلى أن تهتم به، وتعتبر نفسها مدينة له أيضاً.

فلو أن زوجتك مثلاً لبست ثوباً بالياً، فمدحتَ ثوبها، فإن الثوب البالي يتحول عندها، إلى أفضل نوع من الثياب.

وكما في الثوب كذلك في الموقف، والكلام، والعلاقة الزوجية، وفي أمور الدين، والعبادات.

فلو أنّك مدحتَ اهتمام زوجتك بالصلاة، فإنها سوف تهتم بها، ولو أنك مدحتَ عطفها، وحنينها، وأخلاقها الطيبة، لأدامت الالتزام بها كذلك.

إن البعض يستعمل الغلظة، بدلاً من اللباقة واللين، ولذلك فهو يقتل في الشريك الآخر بذور الخير.

وسواء كانت الغلظة من قبل الزوج، أو من قبل الزوجة، فإنّها مفسدة للعلاقات الزوجية.

والإسلام يوصي الزوج بالرفق مع الزوجة، ومع الناس الآخرين، وحتى مع الحيوانات والشجر.

كما يوصي الزوجة كذلك أن ترفق بالزوج وبعائلتها.

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

«وأما حق رعيتك بملك النكاح فإن تعلم أن الله جعلها سكناً، ومستراحاً، وأنساً وواقية». (تحف العقول: ص١٨٨)

فهي إذن نعمة من الله عليك، فواجبك أن تكرمها، وترفق بها.

ويضيف الإمام سلام الله عليه:

«وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله، ويكرمها ويرفق بها، وإن كان حقك عليها أغلظ، وطاعتك بها ألزم، فيما أحببت وكرهت، ما لم تكن معصية، فإن لها حق الرحمة والمؤانسة، وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لابد من قضائها، وذلك عظيم، ولا قوة إلا بالله». (الخصال: ص٤٨٦، ح٦٣)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن النساء عندكم عوان ـ أي أسيرات ـ لا يملكن لأنفسهن ضراً ولا نفعاً، أخذتموهن بأمانات الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فلكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، ومن حقكم عليهن ألاّ يوطئن فرشكم أحداً غيركم، ولا يعصينكم في معروف، فإذا فعلن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، ولا تضربوهن». (مكارم الأخلاق: ص٢١٨)

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا غنى للزّوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبينه زوجته، وهي:

الأول: (الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها).

«رحم الله عبدا أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله قد ملّكه ناصيتها، وجعله القيّم عليها.

الثاني: (حسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة).

الثالث: (توسعته عليها).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهلِهم، ويحنون عليهم».

فكلّما استطاع الزوج، أن يوسع على زوجته في أمور الحياة وحاجاتها، فليفعل؛ إذ لا غنى للزوج في علاقته بالزوجة عن ذلك!

يقول الإمام الكاظم عليه السلام:

«إن عيال الرجل أسراؤه، فمن أنعم الله عليه نعمةً فليوسّع على أسرائه، وإن لم يفعل أوشك أن تزول عنه تلك النعمة».

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«عيال الرجل أسراؤه، وأحب العباد إلى الله ـ عز وجل ـ أحسنهم صنيعاً إلى أسرته».

هذا عن واجب الزوج تجاه زوجته، فماذا عن واجب الزوجة تجاه زوجها؟

واجبات الزوجة تجاه زوجها

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم لها: أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تصدّق من بيته إلاّ بإذنه، ولا تصوم تطوّعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها، وإن كانت على ظهر قتب ـ أي خشب الولادة ـ، ولا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه.

فقالت: يا رسول الله، من أعظم الناس حقّاً على الرجل؟

قال: والده.

فقالت: يا رسول الله، من أعظم الناس حقّاً على المرأة؟

قال: زوجها». (الكافي: ج٥، ص٥٠٦)

وجاء أيضا في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أيّما امرأة لم ترفق بزوجها، وحملته على ما لا يقدر عليه، وما لا يطيق، لم تقبل منها حسنة، وتلقى الله وهو عليها غضبان».

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما استفاد امرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتُطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله». (فن الصداقة مع العائلة، هادي محمد: ص٥٦)

* إعداد: محمد رزاق صالح

الفحش واللعن(٢)

اللعن هو الحكم بالبعد أو طلب الإبعاد من الله.

فالأول غيب لا يطلع عليه إلا الله.

والثاني لا يجوز إلا على من اتصف بصفة تبعده منه، فينبغي ألا يلعن أحدا إلا من جوز صاحب الشرع لعنه، والمجوز من الشرع إنما هو اللعن على الكافرين والظالمين والفاسقين، كما ورد في القرآن ولا ريب في جواز ذلك بالوصف الأعم، كقولك: لعنة الله على الكافرين.

أو بوصف يخص بعض الأصناف، كقولك: لعنة الله على اليهود والنصارى.

والحق جواز اللعن على شخص معين علم اتصافه بصفة الكفر أو الظلم أو الفسق.

وما قيل من عدم جواز ذلك إلا على من يثبت لعنه من الشرع كـ(فرعون وأبي جهل)، لأن كل شخص معين كان على إحدى الصفات الثلاثة ربما رجع عنها، فيموت مسلما أو تائبا، فيكون مقربا عند الله لا مبعدا عنه (كلام ينبغي) أن يطوى ولا يروى، إذ المستفاد من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكلام أئمتنا الراشدين: جواز نسبته إلى الشخص المعين، بل المستفاد منها أن اللعن على بعض أهل الجحود والعناد من أحب العبادات وأقرب القربات.

قال الله سبحانه: ((أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)).

وقال تعالى: ((أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله الكاذب ولو كان مازحا».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في جواب أبي سفيان حين هجاه بألف بيت: «اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة».

وقد لعن أمير المؤمنين عليه السلام جماعة.

وروي أنه كان يقنت في الصلاة المفروضة بلعن معاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأبي الأعور الأسلمي، مع إنه أحلم الناس وأشدهم صفحا عمن يسوء به، فلولا أنه كان يرى لعنهم من الطاعات لما يتخير محله في الصلوات المفروضات.

وروى الشيخ الطوسي: (إن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام كان ينصرف من الصلاة بلعن أربعة رجال).

ومن نظر إلى ما وقع للحسن عليه السلام مع معاوية وأصحابه وكيف لعنهم، وتتبع ما ورد من الأئمة في الكافي وغيره من كتب الأخبار والأدعية في لعنهم من يستحق اللعن من رؤساء

الضلال والتصريح بأسمائهم، يعلم أن ذلك من شعائر الدين، بحيث لا يعتريه شك ومرية.

وما ورد من قوله عليه السلام: «لا تكونوا لعانين».

ومثله: نهى عن اللعن على غير المستحقين، وما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن لعن أهل الشام، فإن صح، فلعله كان يرجو إسلامهم ورجوعهم إليه، كما هو شأن الرئيس المشفق على الرعية.

وبالجملة: اللعن على رؤساء الظلم والضلال والمجاهرين بالكفر والفسق جائز، بل مستحب، وعلى غيرهم من المسلمين غير جائز، إلا أن يتيقن باتصافه بإحدى الصفات الموجبة له.

وينبغي ألا يحكم باتصافه بشيء منها بمجرد الظن والتخمين، إذ لا يجوز أن يرمى مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يرمي رجل رجلا بالكفر فلا يرميه بالفسق إلا ارتد عليه إن لم يكن كذلك».

ثم اللعن على الأموات أشد وزرا وأعظم إثما، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تسبوا الأموات، فتؤذوا الأحياء».

فنهى عن سب الميت المشرك بخصوصه لأنه يؤذي قريبه الحي من المؤمنين خاصة في الحال بتألم قلبه إما لغضاضة تلحقه في حسبه أو لألم يتحذر له من أجله وأذى المؤمن لا يجوز ولا ينبغي أن يلعن الجماد والحيوان أيضا.

أما إذا كان الميت والحي من الكفار والمشركين فيجوز لعن الميت لأن قريبه الحي ليس من المؤمنين بل من المشركين والكفار والظالمين وممن لعنهم الله تعالى في كتابه الكريم. (شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج١١، ص٤٢٧)

ولما روي: «أنه ما لعن أحد الأرض إلا قالت: اللعن على أعصانا لله».

وما روي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنكر على امرأة لعنت ناقة، وعلى رجل لعن بعيرا.

ثم الدعاء على المؤمن بالشر قريب من اللعن عليه، فلا ينبغي ارتكابه ولو على الظالم، إلا إذا اضطر إليه لشره وأضراره، وقد ورد أن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه، ثم يبقى للظالم عنده فضيلة يوم القيامة.

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: «إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يذكر أخاه بالسوء ويدعو عليه قالوا: بئس الأخ أنت لأخيك! كف أيها المستر على ذنوبه وعورته، وأربع على نفسك، وأحمد الله الذي ستر عليك!».

الدعاء للأخ المسلم بما يحب لنفسه

ثم ضد ذلك - أي الدعاء للأخ المسلم بما يحب لنفسه - من أحب الطاعات وأقرب القربات، وفوائده أكثر من أن تحصى، بل عند التحقيق دعاؤك له دعاء لنفسك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك: ولك مثل ذلك».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه».

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: «إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير، قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك! تدعو له بالخير وهو غائب عنك، وتذكره بالخير؛ قد أعطاك الله عز وجل مثلي ما سألت له، وأثنى عليك مثلي ما أثنيت عليه، ولك الفضل عليه».

والأخبار في فضيلة الدعاء للأخوان أكثر من أن تحصى، وأي كرامة أعظم لك من أن تصل منك إلى المؤمن وهو تحت أطباق الثرى هدايا الاستغفار والأدعية، وهل تدري كيف تسر روحه منك بهذا العمل؟

فإن أهله يقسمون ميراثه ويتنعمون بما خلف، وأنت متفرد بحزنك تدعو له في ظلمة الليل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء، ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب، وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال».

وهو للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء، فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان، أو من عند قريبك فلان، فيفرح كما يفرح الحي بالهدية.

الطعن

وأما (الطعن) فهو أيضا من ذمائم الأفعال، ويورث الضرر في الدنيا والعذاب في الأخرى.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إياكم والطعن على المؤمنين».

وقال عليه السلام: «ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلا مات شر ميتة، وكان قمنا ألا يرجع إلى خير».

واعلم أن هذه الأمور - أعني الفحش واللعن والطعن وأمثالها مما يأتي في موضعه: من الغيبة والكذب والبهتان والاستهزاء والمزاح والخوض في الباطل والتكلم بالفضول وما لا يعني: من آفات اللسان، ويأتي إن لجميع آفات اللسان ضدا عاما هو الصمت، ويأتي بيان فضيلته وكثرة فوائده، ويأتي أيضا ما يدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان - أعني ما ورد في ذم اللسان، وكون شره أعظم من شر سائر الأعضاء - فإنه بعمومه يدل على ذم هذه الأمور. (جامع السعادات: ج١، ص٢٥٤)

الرضا بقضاء الله تعالى وقدره

إنّ من نعم الله تعالى أن منحنا عقلا نزن به الأشياء ونميّز به بين الحق والباطل ونستدل من خلاله على الخير فنفعله وعلى الشر فنجتنبه، وبهذه النعمة الإلهية التي لا تضاهيها نعمة إلا الإيمان نعرف أن الله تعالى هو خالقنا ومدبر أمرنا ورحيم بنا أرحم من أمهاتنا بل أرحم من أنفسنا بأنفسنا، وهو الحكيم الذي لا خطأ ولا خلل في فعله، وهو العادل الذي لا يجور في قضائه، المعصوم الذي لا يحظى في تقديره، والعالم المحيط بكل شيء فلا يفوته شيء، يعلم بما ينفعنا وما يضرنا وما يصلحنا وما يفسدنا، والقادر المطلق الذي يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير، فإذا عرفنا ذلك وأيقنت به أنفسنا وأقرت به عقولنا لابد لنا من التسليم والانقياد له والتوكل عليه في جميع ما يهمنا والرضا والقبول بكل ما يقضي ويقدر، إذ إن عدم الرضا بقضائه وقدره يدل على جهلنا وعدم معرفتنا به ونقصان توحيدنا.

أسئلة مهمة

السؤال: ما هو الرضا الذي ينبغي أن نعيشه في حياتنا؟

الجواب: الرضا هو القبول بل التسليم والانقياد وعدم الاعتراض على ما يقضي سبحانه ويقدر.

السؤال: ما هي فوائد وثمرات الرضا؟

الجواب: للرضا مجموعة من الآثار والفوائد والثمرات وهي كما يلي:

١ـ يوجب القرب الإلهي كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا أحَبَّ اللّه عَبداً ابتَلاهُ، فإن صَبَرَ اجتَباهُ، وإن رَضِيَ اصطَفاهُ». (مستدرك الوسائل للميرزا النوري الطبرسي: ج٢، ص٤٢٧، برقم ٢٣٦٨/ ٣١)

٢ـ يوجب الأجر العظيم في يوم لا ينفع فيه مال لا بنون وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَعْطُوا اللّه الرِّضا مِن قُلوبِكُم تَظفَرُوا بثَوابِ اللّهِ تعالى يومَ فَقرِكُم والإفلاسِ». (ميزان الحكمة للريشهري: ج٢، ص١٠٩٤)

٣ـ يوجب القناعة والشعور بالكفاية كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَن رَضِيَ من الدنيا بما يَكفيه ـ يجزيه ـ كانَ أيسَرُ ما فيها يَكفيه». (الكافي للكليني: ج٢، ص١٤٠، ح١١)

٤ـ يوجب استجابة الدعاء وتحقيق ما نتمنى كما ورد ذلك عن الإمام الحسن عليه السلام:

«أنا الضّامِنُ لِمَن لا يَهجِسُ في قَلبِه إلاّ الرِّضا أن يَدعُوَ اللّه فَيُستَجابَ لَهُ». (شرح أصول الكافي للمازندراني: ج٨، ص٢٠٣)

٥ـ يوجب الشعور بالغنى والتنزه عما في أيدي الناس كما قال الإمام الصادق عليه السلام لسفيان الثوري:

«ارْضَ بِما قَسَمَ اللّهُ لكَ تَكُنْ غَنِيّاً». (الخصال للشيخ الصدوق: ص١٦٩)

٦ـ يوجب الشعور بالاطمئنان والراحة كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«الرَّوحُ والرّاحَةُ في الرِّضا واليَقين، والهَمُّ والحُزْنُ في الشَّكِّ والسّخَطِ». (مشكاة الأنوار، علي الطبرسي: ص٧٤، ح١٣٨)

٧ـ يمنع وقوع الحزن ويرفعه عن صاحبه كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«مَن رَضِيَ برزقِ اللّه، لَم يَحزَن على ما فاتَهُ». (بحار الأنوار للمجلسي: ج٦٨، ص٣٤٥، ح٢)

وعنه عليه السلام قال: «الرِّضا يَنفِي الحُزْنَ». (ميزان الحكمة للريشهري: ج٢، ص١٠٩٤)

السؤال: ما هي الآثار السلبية والنتائج الوخيمة لعدم الرضا؟

الجواب:

١ـ من لم يرض بما أعطاه الله تعالى وقع في فخ الشك ونسب الظلم إلى الله تعالى كما أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«مَن لِم يَرضَ بما قَسَمَ اللّهُ عَزَّ وجلَّ، اتّهَمَ اللّه تعالى في قَضائِه». (مستدرك سفينة البحار للنمازي الشاهرودي: ج١٠، ص٣٥٥)

٢ـ يؤدي عدم الرضا إلى صيرورة الأعمال هباء منثورا كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله:

«مَن رَضِيَ القَضاءَ أتى عليه القَضاءُ وهُو مَأجُورٌ ومَن سَخِطَ القَضاءَ أتى عليه القَضاءُ وأحبَطَ اللّهُ أجرَهُ». (الخصال للصدوق: ص٢٣، ح٨٠)

السؤال: هل أن الرضا يعني ترك السعي في الأسباب؟

الجواب: لا يقول بذلك أحد بل أن القول على خلاف ذلك، إذ يحثنا الشرع على السعي والسبب في الأسباب كما في قوله تعالى:

((هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)). (سورة الملك، الآية: ١٥)

وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام صريح في التسبب كما في قوله عليه السلام:

«أبَى اللّه أن يُجرِيَ الأشياءَ إلاّ بأسباب، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيءٍ سَبَباً وجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحاً، وجَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْماً، وجَعَلَ لِكُلِّ علم باباً ناطقاً، عَرَفَهُ مَن عَرَفَهُ، وجَهِلَهُ مَن جَهِلَهُ، ذاكَ رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ونَحنُ». (الكافي للكليني: ج١، ص١٨٣، ح٧)

فإذا عرفنا هذا يتبين لنا أن الرضا هو التسليم والقبول بكل ما يصيبنا بعد أن نؤدي تكليفنا الشرعي ألا وهو السعي في الأسباب الشرعية المقبولة عند الله تعالى دون أسباب الشيطان، ولا شك في الفرق بين سبل وأسباب الله تعالى وبين سبل وأسباب غيره المعوّجة المفضية إلى عاقبة سيئة.

السؤال: كيف نميّز بين سبل الله تعالى وأسبابه وبين سبل وأسباب غيره؟

الجواب: هذا أمر بديهي لا لبس فيه، فكل ما هو موافق للشرع فهو سبب وسبيل إلهي وكل ما هو مخالف للشرع فهو غير ذلك.

السؤال: كيف نميّز أن المكروه الذي أصابنا من الله تعالى أو من غيره؟

الجواب: في مقام الجواب عن هذا السؤال لابد من الوقوف على ما يأتي:

١ـ إذا أصابنا مكروه دون أن نتسبب به، كوقوع زلزال أو غيره من الكوارث فهو من الله تعالى ولا يريد به إلا نفعنا فلذا لا يحمد على مكروه سواه.

٢ـ إذا أصابنا مكروه بسبب جنَاه، فهو منّا والله تعالى بريء منه كما في كثير من الأسباب التي تؤدي إلى عواقب وخيمة فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سَبَبُ فَسَادِ اليَقِينِ الطَّمَعُ». (مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٧١)

وقال عليه السلام: «سَبَبُ فَسَادِ العَقْلِ الهَوى». (ميزان الحكمة: ج٢، ص١٢٣٢)

وعنه عليه السلام: «سَبَبُ الفِتَنِ الحِقْدُ». (موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام للشيخ النجفي: ج٣، ص١٩٠، برقم [٢٩١٧]١٣)

وقال عليه السلام: «سَبَبُ الشَّحْنَاءِ كَثْرَةُ المِرَاءِ». (عيون الحكم والمواعظ: ص٢٨١)

وعنه عليه السلام أيضا: «سَبَبُ الفَقْرِ الإِسْرَافُ». (مسند الإمام علي عليه السلام، السيد حسن القبنجي: ج١٠، ص٢٩٠، برقم ٣/١١١٧٩)

وقال عليه السلام: «سَبَبُ الفُرْقَةِ الإِخْتِلاَفُ». (معجم المحاسن والمساوئ للشيخ التبريزي: ص٢٦٨)

وقال عليه السلام أيضا: «سَبَبُ الفُجُورِ الخَلْوَةُ». (موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ج٣، ص٣٤٠)

وعنه عليه السلام: «سَبَبُ زَوَالِ النِّعَمِ الكُفْرَانُ». (ميزان الحكمة: ج٢، ص١٢٣٢)

وقال عليه السلام: «سَبَبُ الهَلاَكِ الشِّرْكُ». (عيون الحكم والمواعظ: ص٢٨١)

نصيحة لابد منها

إذا ادعى أحد أنه عبد لله تعالى يجب أن يصدق المدعي بالتلبس بثوب العبودية وألا يلزم من دعواه الكذب والنفاق، وليعلم العبد أن المولى لا يريد له إلا الخير ولا راد لما يريد، وعليه أن يعرف أن السبل غير سبيل الله تعالى تؤدي إلى الفشل والتعب وعدم الاطمئنان بل قد تؤدي إلى ذل في الدنيا، وحبط الأعمال وحرمان الثواب ووقوع الخزي والعذاب في الآخرة، وهذا ما يمكن استنباطه من حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود تُرِيدُ وأُرِيدُ، ولا يكونُ إلاّ مَا أُرِيدُ، فإن أسلَمتَ بما أريد أعطَيْتُكَ ما تُرِيد، وإن لَم تُسلِمْ لِما أريدُ أتعَبتُكَ فيما تُرِيدُ، ثُمَّ لا يكونُ إلاّ ما أُرِيدُ». (التوحيد للشيخ الصدوق: ص٣٣٧)

* إعداد: الشيخ وسام البلداوي

الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه

من هو جابر بن عبد الله

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.

جاءه لقب الأنصاري لأنه ووالده ممن نصر المهاجرين في سبيل دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بسبب إيذاء قريش للمسلمين في حينها وكان جابر صغيراً.

والده رضوان الله عليهما

والد جابر يعد من الأنصار السبعين الأوائل الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيعة العقبة الثانية وقد اختاره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعله من نقبائهم، حيث أصبح عبد الله أحد النقباء الذين تزعموا وترأسوا على أقوامهم فقد جُعل زعيماً على بني سلمة.

كنيته رضي الله عنه

كان جابر يكنى بعدة كنى فقيل: (أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله).

وقيل يكنى (أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن، وأبو محمد).

وروى الكشي عن أحمد بن علي القمي شقران السلولي، قال حدثني إدريس عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: ما لنا ولجابر تروي عنه؟ فقال عليه السلام:

«يا زرارة إن جابراً قد كان يعلم تأويل هذه الآية: ((إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))».

وذكر هذا المعنى صاحب كتاب تفسير البرهان. (تفسير البرهان: ج٣، ص٣٣٩)

وكما جاء في رجال الكشي بسنده المذكور عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام بعد نقل حكاية سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ولده الإمام الباقر عليه السلام وإبلاغ جابر إياه، فقال جابر للإمام الباقر عليه السلام: (بأبي أنت وأمي أضمن لي أنت حديث الشفاعة يوم القيامة، قال عليه السلام: «فقد فعلت ذلك يا جابر»). (اختيار معرفة الرجال: ص٤٣)

أمه رضي الله عنه

قال ابن سعد في طبقاته: هي أنيسة بنت عنمة بن عدي بن سنان بن نابي بن عمرو بن سواد. (الطبقات الكبرى: ج٣، ص٥٦١)

جاء في كتاب الاستيعاب وأسد الغابة: (كانت أم جابر اسمها نسيبة بنت عقبة ابن عدي بن سنان بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم). (الاستيعاب: ج١، ص٢٢٠)

أعقاب جابر رضوان الله عليه

أعقب جابر ثلاثة أولاد وهم: عبد الرحمن، وعقيل، ومحمد. (تهذيب التهذيب: ج٢، ص٤٣)

وقيل: عبد الرحمن ومحمد. (قاموس الرجال: ج٢، ص٥٢٦)

وقيل: إن عقبه من عبد الرحمن بن جابر (حفيده). (تاريخ المدينة المنورة: ج١، ص٩٤)

ولجابر ذرية كثيرة وكبيرة متوزعة في أرجاء البلاد الإسلامية والعربية مثلاً توجد في العراق أسرة كبيرة تعرف بالأنصاري منهم العلماء والأساتذة وقد برز في هذه الأسرة الكريمة الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره الشريف.

عبادته وتقواه رضي الله عنه

كان جابر عابداً ناسكاً منذ شبابه، فقد عبد الله عبادة صحيحة لم يساوره فيها أي شك.

ولم تؤثر عليه المؤثرات الخارجية ولا المؤثرات البيئية، وقد نهاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإفراط بالعبادة وأمره بالرفق بنفسه وكان ديدنه ذلك إلى نهاية عمره لاهجاً بذكر الله مستغفراً جاهداً بالعمل الصالح.

فقد روى المحدث القمي عن نزهة الناظر لأبي يعلى الجعفري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه:

«إن هذا الدين لمتين فأوغل فيه برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى فاحرث حرث

من يظنّ أنه لا يموت واعمل عمل من يخاف أنه يموت غداً». (سفينة البحار: ج١، ص٥٣٢)

مواقف جابر

لجابر بن عبد الله الأنصاري مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع أهل بيته الكرام عليهم السلام وكذلك مع كافة المسلمين مواقف كثيرة وكلها موضع عز وشرف وافتخار.

١ ـ مواقف جابر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مواقف جابر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلها حسنة وجيدة ومشهودة ومكللة بالشرف والعفة والنزاهة والجهاد بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم والإخلاص الذي لا يخامره أي شك شهد جابر العقبة الثانية في منطقة (منى) في السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية الشريفة وكان جابر صبياً وحضر العقبة بصحبة والده فقد بايع جابر رغم حداثة سنه فكانت مبايعته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التصديق والوفاء والإخلاص والإيمان والفداء والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله الواحد القهار وبعدها هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة وحين ظهور الجيش الإسلامي وتكوين السرايا وبدء الغزوات انضم جابر إلى جنود الرحمن والرسالة المحمدية الخالدة.

في رحاب الإمام علي عليه السلام

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لازم جابر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كونه هو الخليفة الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد شهد بذلك الصحابة في يوم الغدير ومنهم أبو بكر وعمر بن الخطاب، وعشرات الآلاف من المسلمين والناس الذين حضروا في حجة الوداع وواقعة الغدير المباركة المشهورة.

وهو من الصحابة الذين رووا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ما لا يحصى ولا يعد ومن جملته:

وقد شهد جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه حرب الجمل وصفين والنهروان مع أمير المؤمنين عليه السلام.

زيارته قبر الحسين عليه السلام يوم الأربعين

لما كان اليوم العشرين من شهر صفر من عام ٦٠ هـ أي بعد اربعين يوما من شهادة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام وصل جابر بن عبد الله الأنصاري في ذلك اليوم إلى كربلاء وكان ذلك اليوم وصول الإمام زين العابدين عليه السلام مع السبايا من النساء والأرامل والأطفال والأيتام إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وممن جلس تحت منبره وسمع حديثه وجاء منهم وروى عنه لكنه لم يشترك مع الإمام الحسين عليه السلام في معركة كربلاء الخالدة لسببين:

١ ـ لكبر سنه وشيخوخته.

٢ ـ لأنه كان مكفوف البصر فلم يقدر على حمل السلاح.

فكان جابر أول من زار قبر الإمام الحسين بن علي عليهما السلام في يوم الأربعين.

فعن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر (الإمام) الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم أتزر بإزار وارتدى بآخر ثم فتح صرة فيها طيب فنثرها على بدنه ثم لما دنا من القبر قال: المسنيه فخر على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فأفاق وقال: يا حسين، يا حسين، يا حسين، (قالها ثلاثاً) ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه.

ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفرق بين رأسك وبدنك، فأشهد أنك ابن النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء وابن سيد النقباء، وابن فاطمة (الزهراء) سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذتك كف سيد المرسلين ورُبيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا شاكة في الخيرة لك فعليك سلام الله ورضوانه وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.... .

قال عطية فقلت لجابر: كيف ولم تهبط وادياً ولم تصل جبلاً ولم تضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأولادهم وأرملت الأزواج؟ فقال لي:

يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أحب قوماً حُشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً بالحق إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه خذوني نحو أبيات كوفان فلما صرنا في بعض الطريق قال:

يا عطية هل أوصيك: وما أظن أنني بعد هذه السفرة ملاقيك أحبب محب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أحبهم، وأبغض مبغض آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أبغضهم، وإن كان صواماً قواماً، وارفق بمحب آل محمد فإنه لم تزل قدم بكثرة ذنوبهم ثبتت لهم أخرى بمحبتهم فإن محبهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار. (مستدرك الوسائل: ج٨٢، ص١٠٨)

وفاته

اختلف المؤرخون والرواة في تاريخ وفاة جابر بن عبد الله الأنصاري، فقيل مات سنة ثمان وسبعين.

وقيل توفي سنة أربع وسبعين، وقيل سنة سبع وسبعين.

مات جابر بعد أن عمّر فأوصى أن لا يصلي عليه الحجاج بن يوسف الثقفي وأن الحجاج شهد جنازته وقيل مات سنة ثلاث وسبعين.

وقيل توفي جابر بن عبد الله رضوان الله تعالى عليه بعد وفاة الإمام محمد الباقر عليه السلام.

وقيل توفي في حياة الإمام الباقر عليه السلام.

فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

* إعداد: الشيخ وسام البلداوي

الخصوصية الزمانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام

مثلما ارتبط الدعاء بخصوصية المكان، كذلك ارتبط بخصوصية الزمان، فهناك أزمنة وأوقات اختارها الله عزوجل لكي يتقرب فيها إليه؛ ويلتمس فيها فضله وعفوه ومغفرته، فيمنّ على من يشاء ويختص برحمته من يشاء وهو أكرم الأكرمين.

والشواهد على ذلك كثيرة كشهر رمضان، وليلة القدر، وليلة عرفة ويومه، وليلة الفطر ويومه، وليلة الأضحى ويومه، وليلة المبعث ويومه، وليلة الجمعة ويومها، وليلة النصف من شعبان ويومه، والأيام البيض من كل شهر، وغيرها.

أما ما يتعلق بهذا اليوم الذي وقف فيه ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ربه ويناجيه فقد وردت فيه روايات عديدة تكشف أن لهذه البقعة المباركة أياماً ارتبطت بالله عزوجل وبالدعاء إليه.

بل تفيد الروايات أن هذه الأيام التي لله عزوجل والتي يحب عزّ شأنه أن يتقرب له فيها، أنها إذا قرنت بهذا المكان كانت أسرع في الإجابة وأنفذ في قضاء الحاجة لأن الداعي إلى الله عزوجل قد جمع الخصوصية الزمانية والمكانية للدعاء في آن واحد.

والقرآن يعرض هذه الحقيقة الغيبية في مناجاة موسى الكليم عليه السلام فقد اختار الله عزوجل للكليم الزمان والمكان الذي يناجي فيه ربه.

قال تعالى: ((وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)). (سورة الأعراف، الآية: ١٤٢)

وفي الإسراء والمعراج اختار الله عزوجل لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الزمان والمكان الذي يعرج منه إلى السماء.

قال تعالى: ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). (سورة الإسراء، الآية: ١)

فكان المكان هو المسجد الحرام والمسجد الأقصى؛ والزمان كان الليل.

وغيرها من الشواهد والدلائل القرآنية التي تشير إلى حقيقة تعيين الأزمنة والأمكنة التي يتقرب من خلالها إلى الله تعالى.

وعند الرجوع إلى أحاديث العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام نجد أن هذه الأحاديث قد خصت هذا المكان بأزمنة محددة يتقرب فيها إلى الله عزّوجلّ.

خصوصية ليلة عرفة ويومه في أرض الحائر الحسيني

امتازت ليلة عرفة بخصوصية خاصة عند جميع المسلمين على اختلاف مدارسهم الفقهية لارتباطها بفريضة الحج؛ بل قد دلّ حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «الحج عرفة». (الدروس للشهيد الأول: ج١، ص٤٢٧)

على تحقق مقصد الحج في عرفة لاجتماع المكان والزمان اللذين يتقبل الله فيهما هذه الفريضة. فهو الموضع الذي منه يرفع الدعاء، وإليه ينظر الله عزّوجلّ بعين الرحمة والمغفرة فيجود بمنّه وفضله على عباده الذين لبوا النداء وقدموا لهذا المكان الذي اختاره وميزه عن بقية الأمكنة والبقاع وحدد له الزمان الذي يقف فيه أولئك الوافدون لطلب رحمته وعفوه ومغفرته ورضاه.

ولذلك؛ رفدها أئمة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام بضروب عديدة من الأدعية لأنها الموضع الذي ينبغي للمؤمن أن يلهج فيه إلى الله بأنواع الأدعية من التبتل والاستكانة والابتهال والاستغاثة؛ وغير ذلك مما ورد في مدرسة الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام، وبخاصّة دعاء الإمام الحسين عليهم السلام في يوم عرفة؛ الذي احتوى على أصول وفروع لعلوم مختلفة كالشرعية والإنسانية والطبيعية؛ فكان بحق منهلاً من مناهل العلم والمعرفة التي يجد فيه الباحث مادته البحثية، ويلمس فيه المفكر نوافذه التأملية.

ومن هنا؛ نرى أن أحاديث العترة عليهم السلام قد دلّت على مواضع وأماكن أخرى اقترنت بزمان عرفة - وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة ويومه - بوصفه الزمان الذي يفتح الله فيه أبواب رحمته ولطفه. ومن بين هذه الأماكن هو الحائر الحسيني على ساكنه وجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من بنيه آلاف الصلاة والسلام.

فقد جاءت هذه الروايات لتعرف المؤمنين أن هذه البقعة على أثر الدعاء والعبادة لمن أراد أن يأتي بالمستحبات، أي إن موضع قبر سيد شباب أهل الجنة عليه السلام هو عند الله أخص من جبل عرفة في دخول الجنة لمن لم يدرك الحج المستحب؛ وهو أوفق في نيل رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

كما دلت عليه أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي منها:

١. عن بشير الدهان قال: قلتُ لأبي عبد الله الصادق عليه السلام ربما فاتني الحج فأُعَرِّفُ - أي أكون في يوم عرفة - عند قبر الحسين عليه السلام؟ فقال:

«أحسنت يا بشير أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة، وعشرين عمرةً مبرورات متقبلات، وعشرين غزوةً مع نبي مرسلٍ، أو إمام عدلٍ. ومن أتاه يوم عرفة عارفا بحقه كتب الله له ألف حجةٍ وألف عمرةٍ مبرورات متقبلاتٍ وألف غزوةٍ مع نبي مرسلٍ أو إمام عدلٍ».

قال: فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف؟. قال: فنظر إلي نظر المغضب ثم قال:

«يا بشير، إنّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل بالفرات، ثم توجه إليه كتب الله عزّوجلّ له بكل خطوةٍ حجةً بمناسكها».

ولا أعلمه إلاّ قال: «وغزوة». (الكافي للكليني: ج ٤، ص ٥٨٠)

٢. عن ابن مسكان قال، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم ثم يثني بأهل عرفات فيفعل ذلك بهم». (وسائل الشيعة للحرالعاملي: ج ١٤، ص ٤٦٥)

٣. وفي المصباح عن عمر بن الحسين العرزمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إذا كان يوم عرفة نظر الله تعالى إلى زوار قبر الحسين عليه السلام فقال ارجعوا مغفوراً لكم ما مضى ولا يكتب على أحد منهم ذنب سبعين يوماً من يوم ينصرف». (مصباح المتهجد للطوسي: ص ٧١٦)

٤. عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألفَ ألفِ حجة مع القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وألفَ ألفِ عمرةٍ مع رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم وعتق ألفَ ألفِ نسمة وحمل ألفَ ألفِ فرس في سبيل الله وسماه الله عبدي الصدّيق آمن بوعدي وقالت الملائكة فلان صدّيق زكاه الله من فوق عرشه، وسمي في الأرض كروبياً». (التهذيب للطوسي: ج ٦، ص ٤٩)

٥. وعن ابن ميثم التمار، عن الباقر عليه السلام قال:

«من بات ليلة عرفة بأرض كربلاء وأقام بها حتى يُعيّد وينصرف وقاه الله شر سنته». (وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٦٤)

فهذه الأحاديث وغيرها جاءت لتظهر للمؤمن الذي قدم لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة بأنه نال من الأجر والثواب ما لم ينلهُ متقرب إلى الله عزّوجلّ في جميع البقاع والأماكن المقدسة ولاسيما جبل عرفة.

مسألة: كيف يتحقق النظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام مع تقدم وقوف أهل عرفات زماناً لاختلاف الأفق!

غالباً ما يختلف الأفق بين أرض الرافدين وأرض الحجاز في رؤية الهلال في كل عام مما يؤدي إلى تقدم الشهر القمري بيوم وليلة في الحجاز، فيقوم الوافدون إلى بيت الله الحرام بالبدء بمناسك الحج تبعاً لرؤية الهلال.

فيكون الوقوف على جبل عرفات متقدماً على من ذهب لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام بيوم وليلة، فكيف يتحقق نظر المولى عزّ وجلّ بعين الرحمة والمغفرة إلى زوار قبر الإمام الحسين عليه السلام قبل نظره عزّ وجلّ إلى أهل عرفات.

ودفع هذا الإشكال يكون في أمرين:

الأمر الأول: هو أن لكل إنسان ملائكة موكلين بعمله يكتبون كل ما يصدر عنه خيراً أو شراً، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾. (سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢)

وإن هذا العمل يرفع إلى الله تعالى فينظر فيه ثم يعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم على وصيه عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (سورة التوبة، الآية: ١٠٥)

هذا النظر من الله عزّوجلّ في أعمال الخلق يكون فيه أولويات فتقدم بعض الأعمال للنظر فيه على غيره؛ ومثاله ـ ولله المثل الأعلى ـ كمن أراد أن يتقدم بطلب لدى مؤسسة حكومية أو أهلية وغيرها، للحصول على وظيفة، أو استثمار، أو مناقصة، وغيرها من الطلبات، وهو يرى أن هناك العديد من الطلبات التي سبقته في التقديم، وأن هناك كثيرين سيأتون بعده وهم يحملون نفس الشروط، سينظر المختصون في طلبه قبل هؤلاء جميعاً وجوابه: هو نيل رضا المختصين في هذه المؤسسة. والحال نفسه في أعمال الخلق وصعود الملائكة بها إلى الله عزّوجلّ فنظر المولى عزّ شأنه إلى زوار قبر الإمام الحسين عليه السلام مقدم على نظره لأهل عرفات. والعلة في ذلك هي:

١. أنّ حرمة جبل عرفات لمن قصده استحباباً في اليوم التاسع من ذي الحجة لا يمكن أن ترقى إلى حرمة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

٢. أنّ التقرب إلى الله عزّوجلّ من تحت قبة قبر حجة الله ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن أراد أن يدعو الله في هذا اليوم لا يعدله شيء في نيل رضا الله تعالى، لأن فيه رضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام كما دلت عليه الأحاديث.

٣. اشترط الإمام الصادق عليه السلام في حصول هذا الثواب والخير الكثير: أن يكون الزائر عارفاً بحق الإمام الحسين عليه السلام وهذا يعني أن الأجر محصور بالمعرفة فهناك في مكة تكون المعرفة بما اقترف الإنسان من ذنوب، وهنا عند الإمام الحسين تكون المعرفة بشريعة الله تعالى، وفضل معرفة الشريعة أكبر عند الله تعالى من معرفة الذنب كما فضل الله نوم العالم على عبادة الجاهل.

الأمر الثاني: من الناحية العلمية فإن دوران الأرض حول نفسها يجعل الفارق الزمني بين مكة المكرمة وشمال أمريكا ما يقارب سبع الساعات، وإن قيام المسلمين بإحياء ليلة القدر في شمال أمريكا متأخر على أهل مكة بنحو ثلثي ليلة القدر في حين إن وعد الله صدق وقوله فصل؛ فليلة القدر ((سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)). (سورة القدر، الآية: ٥)

وعليه؛ فنزول الملائكة في ليلة القدر قائم بدوام عنوان الليل ووجوده سواء أكان الليل في مكة متقدماً على الليل في كندة بـ(٦ أو ٧) ساعات؛ أم أن ليل مكة متأخر عن ليل استراليا والشرق الأقصى سبع أو ثماني ساعات، فالأعمال كلها يعرج بها إلى الله تعالى، لكن تقديم بعضها على البعض في نيل رضا الله مرهون بمودة من أوجب الله مودتهم على جميع الخلق، ومن أعظم مصاديق المودة لآل البيت عليهم السلام هو زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، ولأجلها ينال الزائر كل هذا الأجر والثواب والمغفرة وأكبر من ذلك كله (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ). (سورة التوبة، الآية: ٢)

ولذلك؛ فقد زخرت كتب الحديث والفقه والأدعية بتأكيد استحباب زيارة قبر الحسين عليه السلام في بعض الأزمنة المخصوصة فضلاً عن ليلة عرفة ويومه، كليلة الفطر ويومه، وليلة الأضحى ويومه، وليلة الأول من رجب ويومه، وليلة النصف منه، وكذلك ليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وليلة عاشوراء ويومه.

وجميع هذه الأزمنة كان لها خصوصية التقرب إلى الله عزّوجلّ وطلب عفوه ومغفرته، وقد عرفت بين المسلمين بأنها ليالٍ وأيام مباركة يلوذ بها الداعي إلى ربه. فكيف إذا أضيف إليها ما حواه قبر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خصوصية خاصة في استجابة الدعاء ونزول الرحمة وشمول العفو والمغفرة للزائرين والداعين.

* بقلم: السيد نبيل الحسني

أسماء الله الحسنى

الحلقة (٦)

قال تعالى: ((السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ)). (سورة الحشر، الآية: ٢٣)

أن الإيمان في اللغة مصدر من فعلين أحدهما من التصديق، قال تعالى: ((وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا)). (سورة يوسف، الآية: ١٧)

أي بمصدق لنا.

والثاني الأمان الذي هو ضد الإخافة قال تعالى: ((وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)). (سورة قريش، الآية: ٤)

ومن المحققين في اللغة من قال الإيمان اصله في اللغة هذا المعنى الثاني، وأما التصديق فإنما سمي إيماناً، لأن المتكلم يخاف أن يكذبه السامع، فإذا صدقه فقد أزال ذلك الخوف عنه، فلا جرم سمي التصديق إيماناً، إذا عرفت هذا فنقول: إن فسرنا كونه تعالى مؤمناً بكونه مصدقاً، ففيه وجوه.

الأول: أنه أخبر عن وحدانية نفسه، حيث قال: ((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)) (سورة آل عمران، الآية: ١٧)، فكان هو الإخبار، وهذا التصديق إيماناً.

والثاني: أنه صدق أنبياءه بإظهار المعجزة على أيديهم، فإظهار المعجزة من صفات الفعل، ولكنه دل على أنه صدق الرسل بكلامه في إدعاء الرسالة، ولذلك قال: محمد رسول الله، فكان هذا الإخبار والتصديق إيماناً.

والثالث: أنه تعالى يصدق عباده ما وعدهم به من الثواب في الآخرة، والرزق في الدنيا، قال في الثواب:

((جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ)). (سورة البينة، الآية: ٨)

وقال في الرزق: ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)). (سورة هود، الآية: ٦)

والرابع: أنه قال في صفة المؤمنين: ((لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ)) (سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣)

والخامس: أنه تعالى قال: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)). (سورة الحجر، الآية: ٩)

فهو يصدق هذا الوعد؛ فهذا كله إذا حملنا المؤمن على المصدق، أما إذا حملناه على أنه تعالى يجعل عباده آمنين من المكروهات فهذا يمكن حمله على أحوال الدنيا، وعلى أحوال الآخرة.

أما الدنيا فقد قيل: (إن إزالة الخوف لا يعقل إلا حيث حصل هناك خوف، ولا خوف إلا عند إمكان العدم، ولا مزيل للعدم إلا الله، فلا مزيل للخوف إلا هو، فلا مؤمن إلا هو).

إن الأعمى يخاف أن يناله هلاك من حيث لا يرى، فعينه الباصرة تفيد الأمن من الهلاك، والأقطع يخاف ما لا يُدفع إلا باليد، فاليد السليمة أمان له، وهكذا جميع الحواس والأطراف، فخالق هذه الأعضاء والآلات هو الذي أزال الخوف عن الإنسان بواسطة إعطاء هذه الأعضاء.

وقيل: (ولو قدرنا إنساناً وحده مطلوباً من جهة أعدائه، وهو ملقى في مضيعة، ولا يمكنه أن يتحرك لغاية ضعفه، فإن تحرك فلا سلاح معه، ولئن كان معه سلاح لم يقدر على مقاومة الأعداء وحده، وإن كانت له جنود فلم يأمن أن تتكسر جنوده، ولا يجد حصنا يأوي

إليه، فجاء من عالج ضعفه فقواه، وأمده بجنود وأسلحة، وبنى حوله حصنا، فقد أفاده أمنا عظيماً.

فبالحري أن يسمى مؤمناً في حقه، والعبد ضعيف في أصل فطرته، وهو عرضة للآفات، ومنزل المخافات، تارة من الآفات المتولدة في باطنه كالجوع والعطش، وتارة من خارجه كالحريق والغرق والأسر، فالذي خلق له الأغذية اللذيذة، والأدوية النافعة، والآلات الجالبة للمنافع والأعضاء الدافعة للمتاعب، لا شك أنه هو الذي آمنه من هذه الآفات.

وأما أحوال الآخرة فهو الذي نصب الدلائل، وقوى العقل، وهدى الخاطر إلى معرفة توحيده، وجعل هذه المعرفة حصناً حصيناً، وجُنة واقية عن أصناف العذاب، كما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن رب العزة أنه قال:

«لا إله إلا الله حصني، من دخل حصني أمن من عذابي». (جواهر البحار: كتاب القرآن والدعاء، ص١٩٣)

فقد ثبت هذا التقدير أنه لا أمن في العالم إلاّ من الله، ولا راحة إلا من الله، فهذا المؤمن المطلق حقاً).

فإن قيل: لا خوف إلا من الله، فكيف يقال لا أمن إلا من الله؟

قلنا: لا منافاة بينهما، كما أنه معز مذل، محيي مميت، وقد تقدم تقرير هذا في تفسير الرحمن الرحيم.

وما حظ العبد من هذا الاسم، فهو أن يأمن الخلق كلهم جانبه، بل يجد كل خائف الاعتضاد به في دفع الهلاك عن نفسه في دنياه ودينه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليأمن جاره بوائقه».

وأحق العبادات اسم المؤمن، من دعا عباده إلى طريق معرفته وطاعته، وزجرهم عن الاشتغال بما يضاد ذلك، وهذا هو حرفة الأنبياء عليهم السلام، وإليه الإشارة بقوله: ((وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)). (سورة الشورى، الآية: ٥٢)

حكي (أن يوم القيامة ينادي مناد ألا من كان سمي نبي من الأنبياء فليدخل الجنة، فيدخل كل من كان سُمي نبي الجنة، ويبقى قوم فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون لم يوافق اسمنا اسم نبي، ولكنا مؤمنون، فيقول الله سبحانه: أنا المؤمن وأنتم المؤمنون، فادخلوا الجنة برحمتي». (شرح أسماء الله الحسنى للرازي: ص٢٠١)

وقيل (المؤمن): أي الذي يَصْدُقُ عباده وعده، فهو من الإيمان والتصديق، أو يؤمنهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان، والأمن ضد الخوف، وقيل أيضا المصدق لرسله بإظهار المعجزات، وقيل المصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، والمصدّق للكافرين بما أوعدهم من العذاب، سبحانه وتعالى الصادق الوعد الملكُ الحق المبين. (في رحاب أسماء الله الحسنى، محمد عجاج الخطيب: ص٣٥)

وقال الحليمي: ومعناه المصدق، لأنه إذا وعد صدق وعده، ويحتمل المؤمن عباده بما عرفهم من عدله ورحمته من أن يظلمهم، ويجور عليهم.

قال الزجاج: في معنى اسمه تعالى المؤمن: أصل الإيمان: التصديق والثقة.

جاء في لسان العرب عن ابن الأثير: في أسماء الله تعالى (المؤمن) هو الذي يصدق عباده وعده فهو من الإيمان التصديق، أو يؤمنهم في القيامة عذابه فهو من الأمان ضدّ الخوف، الحكم: المؤمن الله تعالى يؤمن عباده من عذابه.

والمؤمن ((لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ)).

فإن معنى (المؤمن) هو المصدق بالإسلام لغة واصطلاحاً وهو الذي يعزى إليه كل أمر ومحل الإسلام الصدر وعالم الكرسي، والإيمان محله القلب وهو عالم العرش لأن القلب محل التجلي ومحل العناية الربانية قال تعالى: ((أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)). (سورة المجادلة، الآية: ٢٢)

وهو محل الروح والأصل أن اللوح الملكوتي لم يقع فيه تبديل بل هو محل الإيمان والإيمان اعتقاد وقول باللسان وعمل بالجوارح واختلف الناس في الإيمان وحقيقة أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره، وشره، حلوه، ومره، واسمه تعالى المؤمن. (شرح أسماء الله الحسنى للنابلسي: ص٧٤)

والإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللّسان وعمل بالجوارح، وحقيقة الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالقدر ولقاء الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإيمان الأسرار بالمعرفة، وإيمان العقول بالعلم، وإيمان الروح بالكشف، وإيمان النفوس بالتحقيق، وإيمان القلوب بالإخلاص لله وإيمان الأجسام بالأفعال. (كشف الأستار، نسيب أسعد: ج٢، ص٢٥٩)

وقيل: (هو المصدق، قال الإمام جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام: «سمي سبحانه مؤمنا لأنه يؤمن عذابه لمن أطاعه».

قيل أنه يصدق عباده وعده ويفي لهم بما وعدهم ولا يخلفه معهم، وقيل إن الله يصدق ظنون عباده المؤمنين ولا يخيب آمالهم قال تعالى: ((الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ))، فلا يخلف الله وعده مع عباده من المؤمنين وغيرهم ويفي معهم كل حسب عمله). (أسماء الله الحسنى، حسين هادي القرشي: ص١٣٠)

وقيل التعلّق: افتقارك إليه في أن يعطيك التصديق بما جاء عنه وتكون مصدّقاً فإنّ معناه المصدّق؛ وافتقارك أيضاً أن يعطيك قوّة بها يحل الأمان في كلّ نفس من جهتك على حسب ما يليق من العِرض والمال والدم.

والتحقّق: المؤمن هو الذي يصدّق أنبياءه فيما ادّعوه من التبليغ عنه بالمعجزة على الطريق الخاصّ إذا قامت مقام صدق رسوليّ فهو مصدّق، وهو الذي يعطي الأمان أيضاً في نفس من شاء من عباده، وبهذه النسبة يكون للعبد.

التخلّق: إذا صدّق العبد كلّ خبر في العالم فهو مؤمن ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)) فعمّ تصديقه؛ وإذا أمنت النفوس فيما يمكن أن تتأذّى منه في حقّه أو في حقّ غيره فقد أعطى الأمان في نفوسهم فهو مؤمن أيضاً ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)).

وقيل (المؤمن): الذي أمن أولياؤه عذابه، أو: المصدق عباده المؤمنين يوم القيامة، أو: الذي لا يخاف ظلمه، أو: الذي لا يتصور أمن ولا أمان إلا من جهته، والذي يصدق عباده ما وعدهم.

* إعداد: محمد رزاق صالح

أترجو قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

أخرج الراوندي في الخرائج عن أبي الفرج سعيد بن أبي الرجا، عن محمد بن عبد الله بن عمر الخاني، عن أبي القاسم بكراد بن الطيب بن شمعون، عن أبي بكر ابن أحمد بن يعقوب، عن أحمد بن عبد الرحمان، عن سعد، عن الحسن بن عمر، عن سليمان بن مهران الأعمش قال: (بينما أنا في الطواف بالموسم إذ رأيت رجلا يدعو وهو يقول: اللهم اغفر لي وأنا أعلم أنك لا تغفر، قال: فارتعدت لذلك ودنوت منه وقلت: يا هذا أنت في حرم الله وحرم رسوله، وهذه أيام حرم في شهر عظيم، فلم تيأس من المغفرة؟

قال: يا هذا ذنبي عظيم، قلت: أعظم من جبل تهامة؟ قال: نعم، قلت: يوازن الجبال الرواسي؟ قال: نعم، فإن شئت أخبرتك قلت: أخبرني قال: اخرج بنا عن الحرم، فخرجنا منه.

فقال لي: أنا أحد من كان في العسكر الميشؤوم عسكر عمر بن سعد لعنه الله حين قتل الحسين ـ عليه السلام ـ، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد من الكوفة فلما حملناه على طريق الشام نزلنا على دير للنصارى، وكان الرأس معنا مركوزا على رمح، ومعه الأحراس، فوضعنا الطعام وجلسنا لنأكل، فإذا بكف في حائط الدير تكتب:

أترجو أمة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب

قال: فجزعنا من ذلك جزعا شديدا وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذها فغابت، ثم عاد أصحابي إلى الطعام فإذا الكف قد عادت تكتب:

فلا والله ليس لهم شفيع
وهم يوم القيامة في العذاب

فقام أصحابنا إليها فغابت ثم عادوا إلى الطعام، فعادت تكتب:

وقد قتلوا الحسين بحكم جور
وخالف حكمهم حكم الكتاب

فامتنعت وما هنأني أكله، ثم أشرف علينا راهب من الدير فرأى نورا ساطعا من فوق الرأس فأشرف فرأى عسكرا فقال الراهب للحراس: من أين جئتم؟

قالوا: من العراق، حاربنا الحسين.

فقال الراهب: ابن فاطمة بنت نبيكم وابن ابن عم نبيكم؟

قالوا: نعم، قال: تباً لكم، والله لو كان لعيسى بن مريم ابن لحملناه على أحداقنا، ولكن لي إليكم حاجة، قالوا: وما هي؟ قال: قولوا لرئيسكم: عندي عشرة آلاف درهم، ورثتها من آبائي يأخذها مني ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل فإذا رحل رددته إليه، فأخبروا عمر بن سعد بذلك فقال: خذوا منه الدنانير وأعطوه إلى وقت الرحيل فجاؤوا إلى الراهب فقالوا: هات المال حتى نعطيك الرأس فأدلى إليهم جرابين في كل جراب خمسة آلاف درهم فدعا عمر بالناقد والوزان فانتقدها ووزنها ودفعها إلى خازن له، وأمر أن يعطى الرأس.

فأخذ الراهب الرأس فغسله ونظفه وحشاه بمسك وكافور كان عنده، ثم جعله في حريرة ووضعه في حجره، ولم يزل ينوح ويبكي حتى نادوه وطلبوا منه الرأس، فقال: يا رأس والله لا أملك إلا نفسي، فإذا كان غدا فاشهد لي عند جدك محمد أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أسلمت على يديك وأنا مولاك.

وقال لهم: إني أحتاج أن أكلم رئيسكم بكلمة وأعطيه الرأس، فدنا عمر بن سعد فقال: سألتك بالله (و) بحق محمد أن لا تعود إلى ما كنت تفعله بهذا الرأس ولا تخرج بهذا الرأس من هذا الصندوق، فقال له: أفعل فأعطاه الرأس ونزل من الدير يلحق ببعض الجبال يعبد الله، ومضى عمر بن سعد ففعل بالرأس مثل ما كان يفعل في الأول.

فلما دنا من دمشق قال لأصحابه: أنزلوا! وطلب من الجارية الجرابين فأحضرت بين يديه، فنظر إلى خاتمه، ثم أمر أن يفتح فإذا الدنانير قد تحولت خزفية فنظروا في سكتها فإذا على جانبها مكتوب ((لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ))، وعلى الجانب الآخر مكتوب ((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))، فقال: خسرت الدنيا والآخرة. (بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٥، ص١٨٦)

* إعداد: محمد رزاق صالح

منزلة علي عليه السلام كمنزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى

في المناقب لابن شاذان: عن ابن عمر قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فغضب صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

«ما بال قوم يذكرون من له منزلة عند الله كمنزلتي ومقام كمقامي إلاّ بالنبوّة.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام فقد أحبّني، ومن أحبّني رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه كافاه بالجنّة، ـ ألا ومن أحب علياً تقبل الله صلاته وصيامه وقيامه، واستجاب الله له دعاءه ـ.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام استغفرت له الملائكة، وفتحت له أبواب الجنّة يدخل من أيّ باب شاء بغير حساب.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام أعطاه الله كتابه بيمينه، وحاسبه حساب الأنبياء.

ألا ومن أحب عليّاً عليه السلام لا يخرج من الدنيا حتّى يشرب من الكوثر، ويأكل من شجرة طوبى، ويرى مكانه من الجنّة.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام يهوّن الله عليه سكرات الموت، ويجعل قبره روضة من رياض الجنّة.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام أعطاه الله في الجنّة بكلّ عرق في بدنه حوراء وشفّعه في ثمانين من أهل بيته، وله بكلّ شعرة على بدنه حديقة في الجنّة.

ألا ومن عرف عليّاً عليه السلام وأحبّه بعث الله إليه ملك الموت، كما يبعث إلى الأنبياء، ودفع عنه أهوال منكر ونكير، ونوّر قبره وفسّحه مسيرة سبعين عاماً، وبيّض وجهه يوم القيامة.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام أظلّه الله في ظلّ عرشه مع الصدّيقين والشهداء والصالحين، وآمنه من الفزع الأكبر وأهوال يوم الصاخّة.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام تقبّل الله منه حسناته، وتجاوز عن سيّئاته، وكان في الجنّ رفيق حمزة سيّد الشهداء.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام أثبت الله الحكمة في قلبه، وأجرى على لسانه الصواب، وفتح الله له أبواب الرحمة.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام سمّي أسير الله في الأرض وباهى الله به ملائكته وحملة عرشه.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام ناداه ملك من تحت العرش: أن يا عبد الله استأنف العمل، لقد غفر الله لك الذنوب كلّها.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام وضع الله على رأسه تاج الكرامة وألبسه حلّة العزّة.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام مرّ على الصراط كالبرق الخاطف، ولم ير صعوبة المرور.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام كتب الله له براءة من النار وبراءة من النفاق، وجوازاً على الصراط، وأماناً من العذاب.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام لا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان، وقيل له: أدخل الجنّة بغير حساب.

ألا ومن أحبّ عليّاً عليه السلام أمن من الحساب والميزان والصراط.

ألا ومن مات على حبّ آل محمد عليهم السلام صافحته الملائكة، وزارته أرواح الأنبياء، وقضى الله له كلّ حاجة كانت له عند الله تعالى.

ألا ومن مات على بغض آل محمد عليهم السلام مات كافراً.

ألا ومن مات على حبّ آل محمد عليهم السلام مات على الإيمان وكنت أنا كفيله بالجنة. (كتاب مائة منقبة: ص٦٤، برقم٣٧)

* إعداد: محمد رزاق صالح

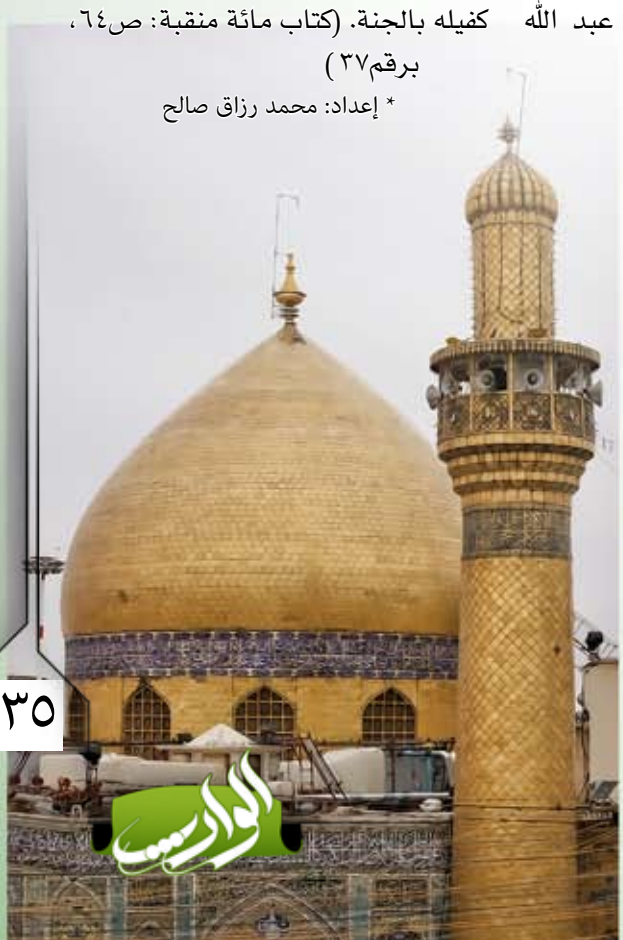

إن من المسائل التي ترشد القارئ إلى أهمية كتاب ما هي الرجوع إلى آراء أهل الاختصاص فيه.

وكتابنا هذا (فتح الملك العلي) قد أبدى رأيه فيه كل من العلامة البحاثة المحقق الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب الغدير والعلامة المحقق السيد عبد الحسين شرف الدين.

فأما الشيخ الأميني طيب الله ثراه فقد كتب إلى ولده الشيخ هادي الأميني حينما قام بتحقيق هذا الكتاب الذي اخترناه لك أيها القارئ الكريم فقال: (... وهذا الكتاب حقاً من حسنات الدهر، ومآثر الفضيلة مفعم بالغرر والدرر، مشحون بالحقائق والدقائق، ومؤلفه، صدقاً علامة فذ، رجل العلم والتحقيق جاء في سفره الكريم هذا بدروس عالية من فنون الحديث، وأبحاثاً راقية في علوم السنة، وفرائد وفوائد من الدراية ومعرفة الرجال، تضم كل صحيفة منه من أبواب الجرح والتعديل حقائق قصر عنها يراع الأولين، وخلت منها زبر الآخرين.

وأني منذ طالعته قبل ردح من الزمن لم أفارقه قط، وإنما أمعن النظرة فيه مرة بعد أخرى، وأعيد جدة الوقفة دونه، والأخذ من منابع علمه الفضاض، وقد أخذ بمجامع قلبي حتى إني لو تمكنت من حفظه لحفظته مع كبر سني برمته بالشوق المؤكد). (مقدمة المحقق: ص٥ - ٦) أما السيد شرف الدين فقال: (لقد كانت البحوث التي خاضها المؤلف والتعليقات التي سطرها على بعض الكتب موضع تقدير وعناية المؤلفين في البلاد الإسلامية لما وجدوا فيها من مواد علمية دسمة، ومعلومات في الدراية وافرة جديرة بالدراسة والمطالعة والاستفادة منه.

أما مؤلف الكتاب فهو أبو الفيض أحمد ابن محمد بن الصديق الحسني المغربي المتوفى سنة ١٣٨٠هـ، محدث، حافظ من أهل المغرب الأقصى ولم يعرف عنه أكثر من هذه الكلمات.

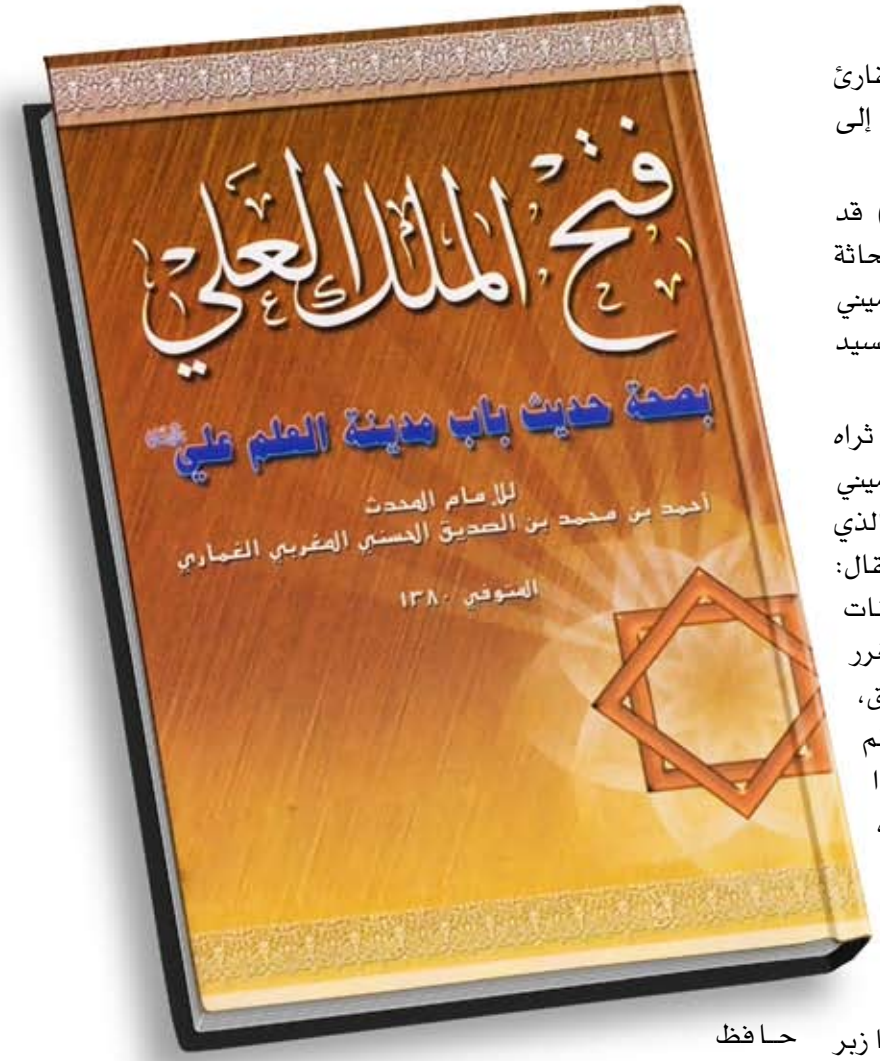

والذي يبدو من كتاباته وتعليقاته على بعض كتب الحديث أن المترجم له اشتغل بالحديث والتفقه فيه وانصرف إلى دراسته وتدريسه سنين متمادية وأصبح بحكم انصرافه له متضلعا وحافظاً ومحدثا وإماما ولعله رغب إليه منذ الصغر، فجالس الحفاظ والمحدثين في المغرب الأقصى أولاً، وبعد انتقاله إلى القاهرة، والاجتماع بأئمة الحديث هناك والأخذ عنهم والقراءة عليهم.

أما مقدمة المؤلف للكتاب فقد قال: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن الأحاديث الصحيحة الواردة بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام عديدة متكاثرة، وشهيرة متواترة، حتى قال جمع من الحفاظ: أنه لم يرد من الفضائل لأحد من الصحابة بالأسانيد الصحيحة الجياد ما ورد لعلي بن أبي طالب عليه السلام، إلا أن هناك أحاديث اختلف فيها أنظار الحفاظ فصححها بعضهم، وتكلم فيها آخرون منها: حديث الطير، وحديث الموالاة، وحديث رد الشمس، وحديث باب العلم.

أما حديث الطير: فقد أفرده بالتأليف الحافظان أبو طاهر محمد أحمد بن أحمد بن حمدان أحد تلامذة الحاكم، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

وأما حديث الموالاة: فأفرده أيضا الحافظان أبو العباس أحمد بن عقدة وأبو عبد الله الذهبي.

وأما حديث رد الشمس: فأفرده أيضا الحافظ أبو الحسن ابن شاذان، والمحدث النسابة الشريف أبو علي محمد بن أسعد الجواني أحد الأئمة

المصنفين في القرن السادس.

وأما حديث باب العلم: فلم أر من أفرده بالتأليف ولا وجه العناية إليه بالتصنيف، فأفردت هذا الجزء لجمع طرقه وترجيح قول من حكم بصحته سالكا فيه سبيل العدل والإنصاف، متجنبا طريق التعصب والاعتساف وسميته (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) والله أسأل أن يمن علي بالإخلاص في الأقوال والأعمال، وأن ينفعني بما علمني، ويعلمني ما ينفعني ويزيدني علما، والحمد لله على كل حال). (فتح الملك العلي: ص٢١)

وقد أفاد الشيخ هادي الأميني جزاه الله خيراً بعد تحقيقه للكتاب بمجموعة من المصادر التي كتبت في هذه الأحاديث التي ذكرها أبو الفيض المغربي في مقدمة كتابه فتح الملك العلي فقال:

(أثناء اشتغالي بتحقيق نصوص الكتاب وتصحيحه وتعيين مصادره ووضع فهارس فنية تجلو ما في دفتي الكتاب هذا من تراجم وآيات قرآنية وأعلام والكتب التي حفلت بذكر أسمائها أصل الكتاب وحواشيه.. والجهد الذي بذلت والعناء الذي عانيت، مع علمي أن لم أقارب الغاية والكمال.. فقد كانت لي بعض الملاحظات على ما جاء في مقدمة المؤلف بعد أن ألفت نظري إليها شيخنا الأكبر.. الشيخ الأميني.. مع اليقين أن المؤلف قد برع في فن الحديث، ويعدم المتصفح لكتابه هذا أن يجد له هفوات تتعلق بصحة حديث باب مدينة العلم نفسه.

فقد قال في المقدمة: إن هناك أحاديث صححها بعض الحفاظ وأفردوا فيها كتبا منها: حديث الطير، وحديث الموالاة، وحديث رد الشمس، ثم ذكر بعض الحفاظ حسب اطلاعه وعلمه، وفاته بيان كثير منهم لذلك أثبت في الفصل هذا ذكر الحفاظ الذين وقفت عليهم خلال مطالعاتي في المعاجم مشاركة مني في إحقاق التاريخ وتكامل الموضوع وعسى أن أسدي به إلى المكتبة العربية برا عاجلا إلى جانب عمل المؤلف الكريم الجدير باستحقاق الثناء والاجلال.

قال: أما (حديث الطير) فقد أفرده بالتأليف الحافظان أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان أحد تلامذة الحاكم، وأبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي.. وإليك ما ذهب على المؤلف ذكره من الحفاظ الذين أفردوا في حديث الطير تأليفا خاصا:

١ ـ الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي المتوفى (٣٣٢) مولى بني هاشم وكان أبوه نحويا صالحا يلقب بعقدة وإليه كان المنتهى في قوة الحفظ وكثرة الحديث وصنف في الأبواب والتراجم والحديث حتى قال عنه الحاكم ابن البيع: ما رأيت لحديث الكوفيين أحفظ من أبي العباس ابن عقدة وكان يحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها، وعلى حد تعبير الدارقطني كان ابن عقدة يعلم ما عند الناس ولا يعلم الناس ما عنده، له مؤلفات كثيرة في الحديث منها كتاب خاص في طرق حديث الطير.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري المتوفى (٣١٠هـ) استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله وقد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين وأيام الناس وأخبارهم وله مؤلفات كثيرة وقد جمع في مجلد خاص طرق هذا الحديث وألفاظه.

٣ ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نعيم أحمد ابن الحكم الضبي النيسابوري الحاكم الشافعي المعروف بابن البيع (المتوفى ٤٣٠هـ)، كان إمام المحدثين والحفاظ طلب الحديث منذ الصغر وسمع على شيوخ يزيدون على ألفي شيخ وقرأ القراءات على جماعة ورحل إلى خراسان وما وراء النهر، بلغت تصانيفه قريبا من خمسمائة جزء وتفقه على ابن أبي هريرة وأبي سهل الصعلوكي وغيرهم، ومن مصنفاته كتاب جمع فيه طرق هذا الحديث وقال: أما حديث الطير فله طرق كثيرة جدا قد أفردتها بمصنف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.

٤ ـ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر الإصبهاني المتوفى (٤١٠هـ)، محدث حافظا مفسر مؤرخ له التفسير الكبير في سبع مجلدات، المستخرج على صحيح البخاري، والتاريخ والأمالي.

٥ ـ الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإصبهاني الشافعي المتوفى (٤٣٠هـ)، أحد أئمة الحديث وأكابر الحفاظ الثقات وقد أجمع الناس على إمامته وفضله وعلمه وسعة اطلاعه ولم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف، وقد جاء أن أصحاب الحديث كانوا يقولون بقي الحافظ أربع عشرة سنة بلا نظير لا يوجد شرقا ولا غربا أعلى إسنادا منه، ولا أحفظ منه، أجاز له مشايخ الدنيا وتهيأ له من لقى الكبار ما لم يقع لحافظ، له من التأليف حلية الأولياء والأربعين، وفضائل الخلفاء، وكتاب الفتن، وتاريخ إصبهان، والمستخرج على البخاري، والمستخرج على مسلم، وكتاب في حديث الطير وسنده.

هذه ملاحظات على بعض ما جاء في مقدمة الكتاب ذكرتها للفائدة

وتبيان الحقيقة، وأداء لأمانة العلم ومشاركة في إحقاقه، والله المستعان وقد اختص وحده سبحانه بالكمال.

وقد ذكر الشيخ هادي الأميني جزاه الله خيراً غير هؤلاء العلماء إلا أننا نكتفي بهذا القدر ومن أراد الإزادة فعليه بالكتاب المذكور؛ والله ولي التوفيق.

* بقلم: السيد نبيل الحسني

المال والبنون زينة الحياة الدنيا (٢)

الابن والابنة في القرآن الكريم

١ ـ قال الله تعالى: ((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)).

قوله تعالى ((والله جعل لكم...) إلى آخر الآية، آية بلا خلاف.

يقول الله تعالى: (إني أنا الذي جعلت لكم أزواجا ((من أنفسكم)) يعني من البشر، والذين يلدونهم ليكون ذلك آنس لهم وأليق بقلبهم، وخلقت من هؤلاء الأزواج بنين تسرون بهم وتتزينون بهم و((حفدة)) أي وخلق لكم حفدة.

وقيل في معناه أقوال: قال مجاهد وطاووس: هم الخدم، وقال ابن عباس: هم الخدم والأعوان، وانشد قول جميل:

حفد الولائد حولها واستمسكت
بأكفهن أزمة الاجمال

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: إنهم البنون وبنو البنين؛ وفي رواية أخرى: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره؛ وقال الحسن: من أعانك، فقد حفدك من البنين وبني البنات والأعوان والأهل؛ وقال ابن مسعود، وأبو الضحى، وإبراهيم وسعيد بن جبير: هم الأختان، وهم أزواج البنات.

وأصل الحفد الإسراع في العمل، ومنه يسعى ويحفد، ومر البعير يحفد حفدانا إذا مر يسرع في سيره، وحفد يحفد حفدا وحفدانا، قال الراعي:

كلفت مجهولها نوقا يمانية
إذا الحداة على أكسائها حفدوا.

والحفدة جمع حافد، مثل كامل وكملة، وقوله ((ورزقكم من الطيبات)) أي جعل لكم أشياء تستطيبونها وأباحها لكم.

وإنما دخلت ((من)) لأنه ليس كل ما يستطعمه الإنسان رزقا له، وإنما رزقه ماله التصرف فيه، وليس لغيره منعه منه.

ثم قال ((أفبالباطل)) يعني عبادة الأوثان والأصنام، وما حرم عليهم الشيطان من البحائر والسائبة والوصيلة يصدقون، وبنعمة الله التي عددها لهم ((يكفرون)) أي يجحدون ما أحله الله، وما حرم عليهم). (التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي: ج٦، ص٤٠٦).

وقال الشيخ الطبرسي: (((من أنفسكم)) أي: من جنسكم، ((حفدة)) أي: خدما وأعوانا.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هم أختان الرجل على بناته».

وقيل: هم أولاد الأولاد، وهو جمع حافد، وحفد الرجل: أسرع في الطاعة والخدمة.

وفي الدعاء: (إليك نسعى ونحفد).

وقوله تعالى: (من الطيبات)) يعني: بعضها، ((أفبالباطل يؤمنون)) وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وشفاعتها

((و...يكفرون))، (بنعمة الله)) المشاهدة التي لا شبهة فيها، وقيل: يريد بنعمة الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والإسلام أي: هم كافرون بها منكرون لها). (تفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٣٣٧)

وقال الشيخ الكاشاني في تفسير الآية: (ثمّ عدّد سبحانه نعمة أخرى، فقال: ((واللَّه جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً)) أي: من جنسكم لتأنسوا بها، ولتكون أولادكم مثلكم.

وقيل: هو خلق حوّاء من ضلع آدم.

((وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ)) تسرّون بهم وتزيّنون بهم ((وحَفَدَةً)) وأولاد أولاد أو بنات، فإنّ الحافد هو الَّذي يحفد، أي: يسرع في الطاعة وفي الخدمة، والبنات يخدمن في البيوت أتمّ خدمة، وقيل: هم الأختان على البنات.

وهو مرويّ عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام.

وقيل: الربائب، ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم، والعطف لتغاير الوصفين، كقوله: ((سَكَراً ورِزْقاً حَسَناً)).

فكأنّه قيل: وجعل لكم منهنّ أولادا هم بنون وهم حافدون، أي: جامعون بين الأمرين.

وقوله تعالى: ((وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ)) من اللذائذ الَّتي قد أباحها لكم، و(من) للتبعيض، لأنّ كلّ الطيّبات في الجنّة، وما طيّبات الدّنيا إلّا أنموذج منها.

وقوله تعالى: ((أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ)) وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، وأنّ من الطيّبات ما يحرم عليهم، كالبحائر والسوائب ((وبِنِعْمَتِ اللَّهِ)) المشاهدة المعاينة الَّتي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز أنّها من اللَّه ((هُمْ يَكْفُرُونَ)) وينكرون لها كما ينكر المحال الَّذي لا يتصوّره العقل.

وقيل: الباطل ما يسوّل لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوائب وغيرهما، ونعمة اللَّه ما أحلّ لهم في السماوات والأرض، فأضافوا نعمه إلى الأصنام، أو حرّموا ما أحلّ اللَّه لهم.

وتقديم الصلة على الفعل إمّا للاهتمام، أو لإيهام التخصيص مبالغة، أو للمحافظة على الفواصل. (زبدة التفاسير للكاشاني: ج٣، ص٥٨٨)

وقال السيد هاشم البحراني: ((قوله: (واللَّه جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً) يعني حواء خلقت من آدم عليه السلام؛ (وحَفَدَةً) قال: الأختان.

العياشي: عن عبد الرحمن الأشل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله: ((وجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدَةً)، قال: «الحفدة: بنو البنت، ونحن حفدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى ((وجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدَةً) قال: «هم الحفدة وهم العون منهم» أي: البنين. (البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج٣، ص٤٣٨)

وقال محمد جواد مغنية في تفسير الآية المباركة: (((واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً)): من جنسكم، لا من جنس أدنى أو أرفع، ليتم الأنس للجانبين، ويحصل التعاون والمشاركة في الحياة من كل الجهات، وأوضح تفسير لهذه الجملة قوله تعالى: ((ومِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ورَحْمَةً)).

وقوله تعالى: ((وجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدَةً) بعد أن ذكر سبحانه نعمة الزواج ذكر نعمة الأولاد، وهم كالأموال زينة الحياة الدنيا؛ ((ورَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ)) مأكلا ومشربا وملبسا ومسكنا ومركبا، كل أولاء بالإضافة إلى الأزواج والأولاد وبعد هذه النعم كلها؛ ((أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ))، المراد بالباطل هنا الشركاء، والإيمان بها نسبة النعم إليها بالانفراد أو الاشتراك مع اللَّه ((وبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)) حيث يأكلون رزقه ويعبدون غيره. (التفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية: ج٤، ص٥٣٢)

* إعداد: محمد رزاق صالح

على مائدة الصحيفة السجادية

ـ مباحث الدعاء الأول ـ الحلقة (٣٠)

قال عليه السلام: (...،**فَكُلُّ خَلِيقَتِه مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِه، وَصَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِه**،...)

قيل (الخلق): هو العالم وما فيه من الكائنات.

والفاء في (فكل) سببية.

و(الخليقة): البهائم، وما غيرها.

و(منقادة): أي طائعة في إذعان.

و(صائرة): أي منتقلة وراجعة.

و(الطاعة): امتثال الأمر والتزام النهي.

فقد خلق الله الإنسان ابتداعاً من غير مثال وبأكمل تقويم، قال تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)). (سورة التين، الآية: ٤)

ورزقه غريزة التملك وإمكانية الحيازة فضلاً عنه سبحان ورحمة. (بحوث في الصحيفة السجادية، الشيخ صالح الطائي: ص١٧)

وجاء في محكم كتاب الله الكريم: ((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)). (سورة الجاثية، الآية: ١٣)

(فكل خليقته) أي: كل خلق الله تعالى في الكون، ممن له الحياة ومن ليس له الحياة.

(منقادة لنا بقدرته)؛ الانقياد معناه الحركة لأجلنا فإن الشمس والقمر والأفلاك وغيرها تسير لمصلحة الإنسان، كانقياد الحيوانات المسخرة للإنسان وسببه. (شرح الصحيفة السجادية للسيد الشيرازي: ص٢٣)

أما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير(١) على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة(٢) بالمواتاة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها وكذلك جميع الأصناف المسخرة للإنسان كانت كذلك إلا بأنها عدمت العقل والروية فإنها لو كانت تعقل وتتروى في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الأمور.

وعطف الكلب على الإنسان ومحاماته عنه؛ ثم جعل في الكلب من بين هذه

السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحافظ له ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الذعار عنه، ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ويألفه غاية الإلف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذه الألفة والمحبة إلا ليكون حارسا للإنسان له عين بأنياب ومخالب ونباح هائل ليذ عر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفرها. (التوحيد المفضّل لابن عمر الجعفي: ص٩٩ ـ ١٠١)

(وصائرة إلى طاعتنا) فإنّ الإنسان يتصرف في الأرض وما عليها ـ كأنها مطيعة له ـ.

(بعزته) أي بسبب أنه سبحانه عزيز قادر على كل شيء. (شرح الصحيفة السجادية: ص٢٤)

فإنّ الله سبحانه خلق الكون بما فيه من خصائص، ومواد أولية، وخلق الإنسان، وزوده بكلّ قوة، وطاقة وجعل أشياء هذا الكون طوع أنامله، ليستعملها في الخير لا في الشر، وللبناء لا للهدم، وللتعاون من أجل حياة أفضل لا للاحتكار، والاستغلال، والاستعمار، وإلى هذا أشار الإمام بقوله: (منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزته. (في ظلال الصحيفة السجادية، محمد جواد مغنية: ص٦٤)

(فكل خليقة منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزّته).

الفاء: للسببيّة أي بسبب ذلك كلّ خليقته في الكون.

منقادة: أي مذعنة طائعة، يقال: إنقاد فلان للأمر إذا أطاع وأذعن طوعاً أو كرهاً، وأصله من قاد الرّجل الدابّة فانقادت إذا أخذ بقيادها وسار فتبعته.

والخليقة: فعيلة بمعنى مفعولة، والتّاء فيها إمارة للنقل من الوصفيّة على الإسميّة، وعلامة لكون الوصف غالباً غير محتاج إلى موصوف كالنطيحة والذبيحة.

وصائرة: أي راجعة، من صار الأمر إلى كذا رجع إليه.

والطاعة: اسم من أطاعه إذا امتثل أمره ونهيه.

والعزّة: القوّة، عزّ الرّجل من باب (ضرب) عزّاً بالكسر وعزازة بالفتح: قوي، وعزّ يعز من باب (تعب) لغة فهو عزيز، والاسم العزّة بالكسر، فقوله بعزّته أي: بقوّته على جعلها منقادة طائعة بتسخيره إيّاها لنا، والتّسخير على ثلاثة أقسام.

أوّلها: الوضعي العرضي وهو أدناها كتسخيره سبحانه وجه الأرض وما فيها للحرث والزّرع وغير ذلك.

((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)).

ومن ذلك تسخير الجبال والمعادن.

((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ)). (سورة النحل، الآية: ٨١)

ومنه تسخير البحار.

((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)). (سورة النحل، الآية: ١٤)

ومنه تسخير الأشجار للغرس وأخذ الثّمار وغير ذلك.

((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ)). (سورة النحل، الآية: ١٠)

((تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا)). (سورة النحل، الآية: ٦٧)

((الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)). (سورة يس، الآية: ٨٠)

((كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ)). (سورة طه، الآية: ٥٤)

((كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ)). (سورة الأنعام، الآية: ١٤١)

ومنه تسخير الدّواب والأنعام للركوب والزينة وحمل الأثقال.

((أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)). (سورة يس، الآيتان: ٧١ ـ ٧٢)

((وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً)). (سورة النحل، الآيات: ٥ ـ ٨)

ومنه تسخير النّسوان والجواري للنسل والتّوليد.

((نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ)). (سورة البقرة، الآية: ٢٢٣)

الثّاني: التسخير الطبيعي وهو أوسطها، وهو تسخير جنود القوى النباتية ومواضعها له للتغذية والتنمية والتوليد والجذب والإمساك والهضم والدفع والتصوير والتشكيل.

الثّالث: التّسخير النّفساني وهو أعلاها، وهو تسخير ملكوت الحواس وملك أعضائها وهي على صنفين، صنف من عالم الشّهادة، وصنف من عالم الغيب.

أمّا الأوّل: فلا يستطيعون له خلافاً ولا عليه تمرّداً فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر اللّسان بالتكلّم وجزم الحكم به تكلّم وإذا أمر الرجل بالحركة تحرّكت وكذا سائر الأعضاء الظاهرة.

وأمّا الثّاني: فكذلك إلاّ إنّ الوهم له شيطنة بحسب الفطرة يقبل إغواء الشّيطان فيعارض العقل في مقاصده البرهانيّة الإيمانيّة فيحتاج إلى تأييد جديد أخروي ليقهره ويغلب عليه ويطرد ظلماته، ولمّا كان خلق هذا العالم الجسماني إنّما هو لأجل الإنسان فالملائكة المدبّرون له كلّهم خادمون له مسخّرون لأجله مطيعون له سمائيّين كانوا أم أرضيّين موكّلون بسائر ما خلق لأجله.

قيل: وهذا هو معنى السّجود المأمور به الملائكة في قوله تعالى:

((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ)). (سورة الأعراف، الآية: ١١)

وبيان ذلك: إنّ الوجود كلّه مرتبط بعضه ببعض ارتباط أعضاء الإنسان ألا ترى أنّ حواسّ الإنسان وأعضاءه المنقادة له المطيعة لأمره مثلاً لا تقوم إلاّ بجميع البدن، ولا البدن إلاّ بالغذاء ولا الغذاء إلاّ بالأرض والماء والنّار والهواء والغيم والمطر والشّمس والقمر، ولا يقوم شيء منها إلاّ بالسّماوات ولا السّماوات إلاّ بالمدبّرات ولا بالمدبّرات إلاّ بالملائكة العقليّة ولا الجميع إلاّ بأمر الله وإرادته وقدرته وعزّته فثبت أن كلّ خليقته منقادة لنوع الإنسان بقدرته تعالى وصائرة إلى طاعته بعزّته جلّ

وعلا). (رياض السالكين للسيد علي خان الحسيني: ج١، ص٣٦٧)

وقيل (فكل خليقته) أي: مخلوقاته من الحيوانات والنباتات والمعادن وغيرها (منقادة لنا بقدرته).

لأنه تعالى ركّب في الإنسان بقدرته الإلهية وحكمته البالغة القوّة العاقلة التي بسببها يحكم على سائر المخلوقات.

فإنّ مدار السلطنة والحكومة على الإدراك ولا يزال العالم يستحقّ الحكومة على الجاهل.

هذا إذا كان لام (لنا) صلةً بأن نكون نحن آمريهم وهم ممتثلون لأوامرنا ونواهينا.

وإن جعل اللاّم للنفع كاللاّم في قوله تعالى: ((جعل لكم الأرض فراشا))، و((خلق لكم ما في الأرض)) فحينئذ الخليقة شاملة للأجرام الفلكية وما فيها، إشارة إلى قوله تعالى:

((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا))، و((سخر لكم الشمس والقمر)).

ويحتمل أن يكون مراده عليه السلام أنّ التحميد لله تعالى على ما فضّلنا على ما سواه بأن ملّكنا جميع خلقه ويكون (على جميع خلقه) متعلّقا بالملكة لتضمّنها معنى التسلّط كما أشرنا إليه.

وقيل (وصائرة إلى طاعتنا بعزّته) أي: بغلبته وبأن جعلنا أقوياء غالبين على مخلوقاته حتّى صارت مطيعةً لنا. (رياض العارفين، محمد بن محمد دارابي: ص٣٤)

(الخليقة): فعيلة بمعنى مفعول.

والحاق (التاء) بها لصيرورتها اسماً، وسبب هذا الإلحاق إنّ في صورة الوصفيّة يحتاج إلى موصوفٍ مذكورٍ أو مقدّر، بخلاف الإسميّة؛ فهذا الإلحاق علامةٌ لعدم الاحتياج إلى الموصوف.

و(منقادة) أي: خاضعةٌ طائعة، يقال: انقاد فلانٌ للمراد: إذا أطاع، وأصله من: قاد الرجل الدابّة فانقادت: إذا أخذ بقيادها فتبعته.

و(صائرة): من صار الأمر إلى كذا، أي: رجع إليه.

و(الطاعة): اسم من أطاعه، أي: امتثل أمره ونهيه.

و(العزّة) ـ بالكسر ـ: اسمٌ من عزّ الرجل ـ من باب ضرب ـ عزّاً: قوي، فقوله: (بعزّته) أي: بقوّته؛ وهو بسبب غلبته وقدرته على كل شيء.

((إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)). (سورة هود، الآية: ٤)

فهذه الفقرة تفريع وتأكيد للسابقة.

ونحن إذا قرأناها ينبغي أن نقصد نسبة الحكم إلى الكلّ باعتبار البعض، كما يقال: بنو تميم قتلوا زيداً، وإنّما قتله واحدٌ منهم.

ويمكن إجراؤه على ظاهره، لما قلنا إنّ غير الإنسان خلق للإنسان، أو لما قلنا سابقاً: إنّ الإنسان الكامل بمنزلة روح العالم؛ فالخطاب للروح لا للبدن ـ فتبصّر! ـ. (لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد باقر الشيرازي: ج١، ص٥٣٣)

وفي رواية مناقب ابن شهرآشوب وغيره، في حديث عيادة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام لعبد الله بن شداد وذهاب الحمى لما دخل في داره، قال الإمام الحسين سلام الله عليه:

«والله ما خلق الله شيئا إلا وقد أمره بالطاعة لنا». (مناقب ابن شهر آشوب؛ بحار الأنوار)

الله عز وجل مهد لحياة الإنسان وفيها كل مستلزماته

الأرض مهدت لحياة الإنسان وفيها كل مستلزماته، كل أنواع المعادن هناك معادن ثمينة القيم، الذهب له وظيفة، البلاتين له وظيفة، الحديد له وظيفة، الألمنيوم له وظيفة، النحاس له وظيفة، القصدير له وظيفة، الرصاص له وظيفة، فالإنسان لو تأمل بخصائص المعادن الفيزيائية والكيميائية لأخذه العجب العجاب، معدن ينصهر في حرارة معدلها ألف وخمسمئة درجة، الرصاص ينصهر في درجة مئة، وإذا برد يتمدد، يعني إذا أراد الإنسان أن يعامل الرصاص مع الحجر يكفي أن يحفر حفرة في الحجر لها شكل الإناء ويضع الحديد فيها، ثم يصب الرصاص فإذا برد الرصاص تمدد وأصبح الحديد والرصاص كتلة واحدة. (التفسير الطول للنابلسي)

فالباري عزّ وجل جعل كل خليقته، كل مخلوقاته، كل الكون، في خدمة هذا الإنسان الظلوم الجهول، لكن أين الذي يتّعظ، هذا الإنسان الذي ظلم نفسه، وتجرأ بجهله على سيده ومولاه.

الله سبحانه وتعالى جعل مخلوقاته بعزّته وقدرته وهو على كل شيء قدير، تحت اختيار وتصرف الإنسان، لكن بشرطها وشروطها.

فمحبة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هي إحدى شروطها.

بل هو الشرط الأساسي في انقياد هذه الخليقة للإنسان.

قال الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

جَعَلَ الخَلْقَ طاعَةً وَانْقِياداً
مُسْتَجيباً لَنا بِدُونِ إباءِ
كُلُّ هذا بِقُدْرَةٍ وَبِعِزٍّ
قَدْ بَلَغْناهُ مِنَ إلهَ السَّماءِ

(الصحيفة السجادية بنظم عبد المنعم الفرطوسي: ص٢٥)

* إعداد: محمد رزاق صالح

الأدب (litterature)

إن كلمة الأدب هنا بالمعنى الأول مجمل النصوص، وبمعنى ملازم المعارف التي تحملها هذه النصوص.

لقد استمر هذا الفهم مسيطراً زمناً طويلاً في فرنسا.

يحيلنا المعنى الحديث إلى مجمل النصوص ذات التوجه الجمالي أو بعبارات أخرى إلى الفن اللفظي.

غير أن هذه الكلمة تستخدم أيضاً في تعابير حيث لا تزال تحتفظ بمعناها القديم، وفي تعابير أخرى تضارع أو تشكل المعنى الحديث (مثلاً، أدب هامشي para litterature) أو (أدب المحطة literature de gare).

(الأدب الفرعيتان)

استخدمت في اللاتينية للدلالة على النصوص المكتوبة والتي حفظت بفضل الكتابة.

ولم يعرف اليونان لفظة تأليفية مماثلة: إذا كانت لفظة (gramma) تحيل إلى الكتابة (وأعطت لفظة grammaire) فإنها لا تعني المجموعة العامة للنصوص المكتوبة، فمن هنا استخدم (poien) الشعر، الذي يغطي جزئياً المجال المعني، وجزئياً فقط لأنه يحيل على التعبير بالإيقاع.

وأشار إلى ذلك أرسطو في مستهل (الشعرية)، وقرر معالجة قسم من (الشعر)، لا الشعر بكامله، الشعر التخلقي.

واستمر المعنى العام (سلسلة النصوص المكتوبة) وبشيء من التفريع (المعارف) مسيطراً حتى القرن السابع عشر.

ومهما يكن من أمر فإنه لا يزال قائماً في أيامنا هذه في تعابير من مثل (أدب قانوني) أو علمي (أدب رمادي) أو غيره.

فكان الحامل المعجمي للدلالة على ما نسميه أدباً، ينتظم طوال قرون حول مفهوم الآداب، التي كانت هي الأخرى مقسمة حتى النهضة إلى آداب مقدسة، آداب معرفية، وآداب جميلة، كانت تشتمل هذه الأخيرة على: الخطابة، التاريخ والشعر.

فكانت تحتوي إذن المجال الذي يشكل الأساس لما نسميه (أدباً) اليوم، وإن كان التاريخ بما هو عليه قد استقل عنه.

وبقي أن قسماً من المؤلفات التي نسميها أدبية لم يكن يسهل تصنيفها على المكتبيين بسبب غياب هذا اللفظ.

وهكذا وفي منتصف القرن السابع عشر أصدر ب. لويس جاكوب أوائل البيبليوغرافيات السنوية لفرنسا، وعانى في عملية تصنيف الروايات التي كان يدرجها تارة تحت (الشعر) وتارة تحت (التاريخ).

فالمعنى الأكثر تحديداً (للكتاب ذي الرؤية الجمالية) بدأ بالظهور في فرنسا في نفس مرحلة تشكل الحقل الأدبي.

حددت معاجم ذلك العصر (ريشيليه، فيريتيير، الأكاديمي) المعاني القديمة مفسحة في المجال أمام التطور الدلالي.

وبدأ هذا التطور جلياً في القرن التالي، ويمكننا الاعتبار أنه وصل سنة ١٧٥٠م إلى حد القطع بين المعنى القديم ومتفرعاته من جهة، وبين المعنى الحديث من جهة ثانية.

وهكذا ففي سنة ١٧٤٧م قدم الأب باتيه (محاضرات في الآداب الجميلة)، وفي نهاية القرن، قدم لاهارب (محاضرات في الأدب).

وفي عام ١٨٠٠م سجلت مدام دي ستايل هذا التغير في استخدامها لهذه الكلمة في عنوان كتابها: (عن الأدب في علاقاته مع المؤسسات).

ومع ذلك بقيت اللفظة في مزاحمة واسعة مع (الشعر)، بيد أن الاستخدام الغالب جعل من لفظة (أدب) الوحيدة القادرة على احتواء الرواية، إضافة إلى القصائد والمسرح كما المقالات والأشكال النوعية الجديدة كالسيرة الذاتية.

ويكمن أحد المؤشرات الدالة على هذا التطور في عناوين وأسماء المجلات.

وهكذا فإن (الفن للفن) لجأت على تسمية (البارناس) المستفادة من الميتولوجيا القديمة والتي تستحضر الشعر أولاً، أما الطبيعيون فقد استخدموا عبارة (الأدب التجريبي) (زولا).

وتأرجحت النظريات الأدبية يومها بين تفكير بالتخلقية والخيال، وبين تفكير مشدود إلى الفن.

فبإمكاننا القول إذن على حد ما بأن الأدب بالمعنى الحديث من اختراع القرن التاسع عشر، وأنه وثيق الصلة بالرواية.

هذا وقد ظهرت عبر تسلسل القرون مناظرة حول استخدامات هذه الكلمة وقيمها (العبارات التي تشير إلى الدونية، أدب هامشي، أدب المحطة، تثبت أن هناك تراتبية قيمية).

بعيد الحرب العالمية الثانية، شعر سارتر بالحاجة للعودة إلى اللفظة وتحديدها: في (ما هو الأدب؟)، وقد أخذ بالحسبان الشعر كما النثر.

وتلاه مباشرة بلانشو في (الفضاء الأدبي عام ١٩٥٥) الذي رأى أن (الأدب) بالمعنى المتداول غاية في (النفعية) معتبراً أن الأدب (الحقيقي) هو (الأدب - القصيدة) (لا أهمية للشكل، سواء كانت نظماً أو نثراً، ديواناً أو رواية).

ولا تزال هذه المناظرة مستمرة ومتعددة الأشكال في أيامنا هذا، وتتميز المسيرة التاريخية إجمالاً بحصرية متزايدة (للآداب) إلى ما هو أدب بالمعنى الضيق.

يشهد على هذا تسمية القطاعات الجامعية الملائمة: في الأمكنة التي تتواجد فيها كليات الآداب غالبا ما حل محلها اليوم - على الأقل في فرنسا - قسم الأدب أو الدراسات الأدبية.

ما هو الأدب؟

هذا سؤال أساسي وشبه عصي على الحل.

ويربطه البعض بالخيال، فيما يراه

البعض الآخر في الشكل أياً يكن المضمون، ويحاولون عندها تحديده (بالأدبية).

ويرى آخرون أن الأدب هو مجمل الممارسات والأنظمة المعنية بالمؤلفات المعترف بها، ويفصلون ما بين (الأدب) بهذا المعنى (وهكذا استطاع بارت التأكيد (بأن الأدب هو ما يجري تدريسه تحت هذا العنوان))، وبين (النص) مجال الإبداع (موقف دافع عنه بارت، وكريستيفا وجماعة (تيل ـ كيل)).

ويمكن للمناظرة أن تكون حامية الوطيس حول هذا المفهوم؛ وإنّها أولاً قضية تعيين علاقات الكلمة بالشيء.

فإذا أخذنا الكلمة بمعناها الدقيق والحديث، يمكننا ألا نأخذ بعين الاعتبار سوى النصوص الحديثة (للفن).

ولكن علينا إذ ذاك الامتناع عن الحديث عن (أدب يوناني) أو (أدب لاتيني) ـ أو حتى عن (أدب كلاسيكي) في فرنسا ـ بحسب هذا المعنى.

وبالعكس إذا قصدنا مجمل النصوص ذات الطابع الفني والتي تعطي حيزاً مهماً بل وحتى حاسماً للميزة الجمالية، عندها تصبح كلمة (أدب) ثم (الآداب الجميلة) وأخيراً (الأدب) بالمعنى الضيق والحديث للكلمة.

تكشف هذه الإرباكات والتوترات عن الصعوبة الخاصة بالموضع المعني.

فلا يمكننا أن نقول شيئاً عن الأدب دون الاستناد ـ ضمناً أو صراحة ـ على بنية.

وبما أنه يتعذر علينا قراءة كل شيء، فإن ما نقوله عن الأدب يستند دائماً إلى بنى محصورة نسبياً.

ويضاف على هذا أن التوتر يتخذ شكلاً له بين التحديدات التي تماشي الإبداع ـ حيث لكل أديب الحق أن يقول (الأدب) ـ وهو يقصد (بالنسبة لي هو ما أتصوره وأقصده) ـ وتماشي التلقي ـ وخاصة في التعليم الذي يقوم دوره على الأخذ بعين الاعتبار مجمل البنية.

وأخيراً فإن استخدام هذه اللفظة يقترن دائماً بموروث ثقافي معين، ذلك أن حضارات أخرى قد لا تعتمد نفس التقسيمات للممارسات اللغوية (السحرة الأفريقيون مثلاً هم فنانو كلمة ولكن لا يمكن إدراجهم في فئات كتلك المتبعة في الأدب والأدباء).

من هنا فإن العودة الضرورية للمعطيات الأساسية يمكن أن تتناول مظاهر أربعة.

المظهر الأول

المظهر الأول هو اجتماعية النصوص والممارسات المعنية: لم يدرك الكلام أبداً عن أدب (أو آداب ـ جميلة، أو شعر...) إلا وكان المقصود نصوصاً متداولة في الفضاء العام.

فالنصوص الخاصة لا علاقة لها بهذا (اللهم إلا إذا كانت من نوع (رسائل مدام دي سيفينييه) التي تخلت عن خصوصيتها بفعل نشرها).

المظهر الثاني

أما المظهر الثاني فهو التصور التاريخي الذي لابد منه للمسألة؛ وتغيرت مفاهيم كلمة أدب وبالتالي تغيرت مفاهيم الممارسات الموازية.

وقد تغير بشكل خاص وعلى التوالي القسم المخصص للشفهي والمكتوب، مع ظهور المطبعة ازداد دور المكتوب وتبدل مفهوم الأدب بحسب أساليب وصوله: غدت القراءة أكثر فأكثر هي الوسيلة المعتمدة وليس الإصغاء، كما تضاعفت النصوص الأكثر طولاً والأكثر تعقيداً والأكثر انتخاباً مع أنواع من مثل الرواية والبحث والسيرة الذاتية.

إن أي تفكير بالأدب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار مجمل هذه التجليات، وتاريخ الأدب هو على حد ما تاريخ تغير النظرة إلى الأدب وتبدلات تصوره، كما أن التنبه إلى الميزة النزاعية الثابتة للمفاهيم المتعلقة بما هو أدبي.

المظهر الثالث

والمظهر الثالث: يشهد على ذلك المعارك الأدبية الماثلة في التاريخ الأدبي، وباستطاعتنا القول إن التاريخ الأدبي هو إلى حد ما تاريخ الصراع على كيفية تصور الأدب وممارسته وتحديده.

المظهر الرابع

فهو ما هو ثابت لا يتغير داخل هذه الصراعات والمتغيرات.

وفي هذا المجال، ودون الزعم بأننا سنقدم (تحديداً) للأدب، هناك ثوابت تفرض نفسها.

الأول: هو أن جميع الأنواع والموضوعات أياً تكن طبيعتها في الفن الشفاهي تفترض (عملاً على الشكل) يرتبط هذا العمل نفسه بخاصية مميزة هي التوصيل المختلف: تقدم النصوص الأدبية خصوصية إمكان إعادة تكرارها في ظروف مختلفة عن تلك التي قيلت فيها لأول مرة.

ولكنها في هذا، وإذا لم تكن مصنوعة الشكل، ومحكومة عرضياً بقواعد علمية، فإنها لا تختلف عن النصوص العلمية والقانونية والسياسية.

الثالث وهو إذا ما أضيف إلى الثابتين الأولين يغدو مميزاً هو أنهم يخاطبون الآخر: يصعب تحديد السامعين أو القراء الذين يخاطبونهم بشكل محكم (فيما يتوجه القانون إلى جماعة محددة ـ من هنا المثل السائر ـ لا يفترض أن يجهل أحد القانون ـ ومعناه المضمر ـ (لا أحد ممن يعيش في هذا البلد يجهل حكم هذا القانون ـ كما أن الملفوظات العلمية يفترض أن تقدم حقائق عامة لا تعبّأ من حيث المبدأ بعملية تلقيها).

من هنا فإن هؤلاء المرسل إليهم بحكم كونهم خارج رقابة الأوضاع المؤسساتية للتلفظ وممارساتها، يصبح رهانهم على الشكل وقفاً على أسر انتباههم والاحتفاظ به.

يبدو الأدب بالتالي كمجموعة نصوص ـ وممارسات إبداعية، ونقل واحتفاظ بهذه النصوص ـ تتميز بجمالية التي عليها أن تضمن بذاتها عملية تسويغها (الفائدة التي يمكن أن نجنيها منها) وتقبلها ـ بجذب الانتباه أولاً ومن ثم بالمشاركة في الرؤى والمشاعر المعروضة ـ من قبل القارئ أو المشاهد.

وسواء دار الأمر على الترويح عن النفس، أو ترويج الأفكار، أو تحقيق هدف تربوي، هناك مزيج متنوع بين هذه الوظائف يغدو مسألة تاريخ وأعراف، حيث تكمن صراعات في عملية إدراك أعراف متنوعة في مؤلفات شتى. (معجم المصطلحات الأدبية: ص٤٨)

* إعداد: السيد نبيل الحسني

ادوارد جيبون

قال في الإمام الحسين عليه السلام: (في زمن وظروف بعيدة مأساة ـ الإمام ـ الحسين ـ عليه السلام ـ سوف توقظ تعاطف ابرد قارئ).(انهيار وسقوط في كتابه الإمبراطورية الرومانية: ج٥, ص٣٩١ ـ ٣٩٢)

سيرته الذاتية

ادوار جيبون من مواليد سنة ١٧٣٧م، وتوفي في ١٧٩٤م، ولد في بلدة بتني الواقعة في جنوبي لندن من أسرة غنية.

كان والدة الثري توري عضواً في البرلمان الذي ذهب في عزلة و ترك ولده جيبون تحت رعاية عمته.

كان جيبون طفلا كثير الأمراض و تعليمه في ويستمنستر وكلية مجدالين في اوكسفورد كان غير اعتيادي.

حسب ما صرح به جيبون شخصيا فانه كان محتشما خجولا فلم يمضِ أي وقت في الحانات و لكنه أنهى دراسته بعد سنة واحدة وذلك لأنه طرد بسبب تحوله إلى الكاثوليكية الرومانية.

وقد كان هذا القرار من قبل أحد الأساتذة الإنجيليين في الكلية.

وفي عام ١٧٥٣م تم إرسال جيبون إلى لاوسان في سويسرا من قبل والده.

و من ثم صعد ليصبح قساً كالفيني وطالب علم.

لقد كان يعتمد على تعليمه ومن ثم رجع إلى الطائفة الإنجيلية.

وقد بقي جيبون أعزب طوال حياته بعد علاقة فاشلة أنهاها والده.

ومن عام ١٥٧٩ إلى ١٧٦٢م، استلم جيبون إدارة إحدى اللجان في ميليشيات هامبشير حتى وصل إلى رتبة كولونيل.

وقبل عام ١٧٦٣م لاحظ جيبون مواضيع عدة تستحق تحليلات فلسفية والتي تمنى أن يطبقها على التاريخ وهي: حياة السير والتر راليف, تاريخ سويسرا, وغيرها.

لكن شعر بأنه لا يملك أي شيء أصولي ليتكلم عن سياسات إليزابيث (الملكة) ولم يكن بوسعه قراءة الألمانية.

وفي عام ١٧٦٤م قام بزيارة روما والتي أوحت له بكتابة تاريخ المدينة ابتداءً من موت ماركوس اوريليوس إلى عام ١٤٥٣م.

بعد موت والده وجد جيبون نفسه في مواجهة بعض المصاعب، لكنه استطاع الاستقرار في لندن ليكمل عمله العظيم.

فالجزء الأول من كتابه ظهر عام ١٧٧٦م، وقد أدى إلى ردود أفعال عامة إزاء تقييمه الساخر تجاه بداية ظهور المسيحية ومنجزات الآباء الأوائل للكنيسة، مثل فولتير.

وكان جيبون متدينا لكن مع القليل من الاحترام الميتافيزيقي من جانب الدين، لقد فحص الجانب المدني من الدين كظاهرة اجتماعية لذلك الدين بالنسبة إلى جيبون لم تكن لديه قدسية خاصة.

فالمسيحية كان لها دور في سقوط الإمبراطورية الرومانية حيث قال: (...الكنيسة و كذلك الدولة كان يتم إعاقتهما من قبل فضائل دينية و التي بعض الأحيان تكون دموية و دائما مشنجة؛ انتباه الأباطرة كان منقسما بين المخيمات ومعسكرات الكنيسة, العالم الروماني كان مضطهدا من قبل نوع جديد من الطغيان, والطوائف المضطهدة أصبحت العدو السري لأوطانهم).

ما بين عام ١٧٧٤م وعام ١٧٨٣م اتخذ جيبون مقعدا في مجلس العموم البريطاني وأصبح لوردا مفوضا للتجارة والزراعة، و ذلك لأنه أصبح مصدر إزعاج كسياسي.

في عام ١٧٧٤ تم انتخابه لنادي الدكتور جونسونز ومنذ عام ١٧٨٣م صرف جيبون الكثير من وقته في لوسان وانكلترا مع لورد شيفيلد جون بايكر هورولي في بيوته في ساسيكس ولندن.

آخر ثلاثة أجزاء من كتابه انهيار و سقوط الدولة الرومانية تم نشرها في عام ١٧٨٨م.

و قد كان الكتاب الأكثر مبيعاً، وأوجدت للقراء العامة محاكاة حية للماضي بدلا من الصور الأثرية.

مؤلفاته

انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية

ذكريات من حياتي و مؤلفاتي (كتاب حول المسيحية)

تاريخ المسيحية

سياسات ادوارد جيبون: تاليف ديكينسون م.ت طبع سنة ١٩٧٨ صفحة ١٧٥-١٩٦.

ذكريات من حياتي و مؤلفاتي: ادوارد جيبون. طبعة سنة ١٩٨٤ مؤسسة بنجوين.

.Wiki:Edward_Gibbon

* إعداد: سيد صفوان جمال الدين

مباحث كتاب الطهـارة

بين الفقه الإمامي والمذاهب الأربعة

وفق منهج الخلاف الاستـــــــدلالي

الحلقة (٦)

مباحث الوضوء

ما يخرج من غير السبيلين

❖ مسألة (٦١): ما يخرج من غير السبيلين، مثل القيئ، والرعاف، والفصد، وما أشبهها لا ينقض الوضوء.

وبه قال الشافعي (الأم: ج١، ص١٨)؛ وهو المروي عن ابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن أبي أوفى وغيرهم من الصحابة (سنن البيهقي: ج١، ص١٤٥)؛ وسعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، ومالك. (موطأ مالك: ج١، ص٣٩)

وقال أبو حنيفة: ينتقض الوضوء بالدم إذا خرج فظهر، وبالقيئ إذا كان ملاء الفم وقال: البلغم والبصاق لا ينقضان الوضوء. (المبسوط للسرخسي: ج١، ص٧٥)

وقال أبو يوسف، وزفر: إن البلغم إن كان نجسا نقض الوضوء، قليلا كان أو كثيرا، وإن كان طاهرا لا ينقض الوضوء، إلا إذا كان ملاء الفم. (المحلى: ج١، ص٢٥٧)

- وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا ما قدمناه من ثبوت حكم الطهارة، وأن نقضها يحتاج إلى دليل؛ وأيضا عليه إجماع الفرقة لا يختلفون في ذلك.

وروى ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زيد الشحام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القيئ هل ينقض الوضوء؟

قال: «لا». (تهذيب الأحكام: ج١، ص١٣، ح٢٥)

وروى سماعة، عن أبي بصير قال: سمعته يقول:

«إذا قاء الرجل وهو على طهر فليتمضمض، وإذا رعف وهو على وضوء فليغسل أنفه، فإن ذلك يجزيه، ولا يعيد وضوءه». (الاستبصار: ج١، ص٨٥، ح٢٧٠)

القهقهة لا تنقض الوضوء

❖ مسألة (٦٢): القهقهة لا تنقض الوضوء، سواء كانت في الصلاة أو في غيرها، وبه قال جابر بن عبد الله؛ وأبو موسى الأشعري (صحيح البخاري: ج١، ص٥٣)، وعطاء، والزهري (سنن الدارقطني: ج١، ص١٦٦، ح٢١)، والشافعي، ومالك، وأحمد، وإسحاق. (المبسوط: ج١، ص٧٧)

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إن كانت في الصلاة نقضت الوضوء، وبه قال الشعبي، والنخعي، والثوري. (مراقي الفلاح: ص١٥)

- وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا ما قدمناه من إجماع الفرقة، وثبوت حكم الطهارة، وأن لا دليل على أن ذلك ينقض الوضوء.

وروى أديم بن الحر، أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ليس ينقض الوضوء إلا ما خرج من طرفيك الأسفلين». (تهذيب الأحكام: ج١٦، ص١٦، ح٣٦)

أكل ما مسته النار

❖ مسألة (٦٣): أكل ما مسته النار، لا ينقض الوضوء.

وهو مذهب جميع الفقهاء، والصحابة بأجمعهم (سنن الترمذي:

ج١، ص١١٩)، إلا أبا موسى الأشعري، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وأبا طلحة، وابن عمر، وأبا هريرة، وعائشة فإنهم قالوا: إنه ينقض الوضوء. (شرح معاني الآثار: ج١، ص٦٩)

- وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا ما قدمناه في المسألة الأولى من الاعتبار، الاستصحاب، أي أن الطهارة ثابتة ونقضها يحتاج إلى دليل، والخبر، والإجماع.

أكل لحم الجزور

❖ مسألة (٦٤): أكل لحم الجزور لا ينقض الوضوء، وبه قال جميع الفقهاء. (شرح معاني الآثار: ج١، ص٧٠)

وقال أحمد: إنه ينقض الوضوء. (الإقناع: ج١، ص٣٩)

- وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا ما قدمناه في المسألتين (٦١ - ٦٢)، وهو الطهارة ثابتة ونقضها يحتاج على دليل، والخبر، والإجماع.

اليقين في الطهارة والشك في الحدث

❖ مسألة (٦٥): من تيقن الطهارة وشك في الحدث لم يجب عليه الطهارة، وطرح الشك.

وبه قال أبو حنيفة والشافعي. (عمدة القاري: ج٢، ص٢٥٣)

وقال مالك: يبني على الشك، ويلزمه الطهارة. (المدونة الكبرى: ج١، ص١٤)

وقال الحسن البصري، إن كان في الصلاة بنى على اليقين، وهو الطهارة، وإن كان خارج الصلاة، بنى على الشك، وأعاد الوضوء احتياطا. (فتح الباري: ج١، ص٢٣٨)

- وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا ما قدمناه من أن الطهارة معلومة، فلا يجب العدول عنها إلا بأمر معلوم والشك لا يقابل العلم، ولا يساويه، فوجب طرحه، وعليه إجماع الفرقة.

وروى عبد الله بن بكير، عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:

«إذا استيقنت أنك قد توضأت، فإياك أن تحدث وضوءا أبدا حتى تستيقن أنك قد أحدثت». (الكافي للشيخ الكليني: ج٣، ص٣٣)

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

«لا ينقض اليقين أبدا بالشك، ولكن ينقضه يقين آخر». (تهذيب الأحكام: ج١، ص٨، ذيل حديث ١١)

التقاء الختانان

❖ مسألة (٦٦): إذا التقى الختانان وجب الغسل، سواء أنزل أو لم ينزل.

وبه قال جميع الفقهاء (شرح معاني الآثار: ج١، ص٥٥)، إلا داود (بداية المجتهد: ج١، ص٤٥)، وقوما ممن تقدم مثل أبي سعيد الخدري، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت ، وغيرهم. (المحلى: ج٢، ص٤)

- وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا إجماع الفرقة، وأخبارهم، وطريقة الاحتياط تقتضيه أيضا.

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إذا قعد بين شعبها الأربع والتصق ختانه بختانها فقد وجب الغسل، أنزل أو لم ينزل؛ رواه البخاري في صحيحه ومسلم بلفظ آخر نصه: (قال إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل). (صحيح البخاري: ج١، ص٧٧؛ صحيح مسلم: ج١، ص٢٧١)

وروى البيهقي في سننه بلفظ قريب: (إذا قعد بين شعبها الأربع ثم أجهد نفسه فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل). (سنن البيهقي: ج١، ص١٦٣)

وروى أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل قال: سألت الرضا عليه السلام عن الرجل يجامع قريبا من الفرج فلا ينزلان، متى يجب الغسل؟ فقال:

«ذا التقى الختانان فقد وجب الغسل».

قلت التقاء الختانين هو غيبوبة الحشفة؟ قال: «نعم». (الكافي للكليني: ج٣، ص٤٦، ح٢)

حكم الإنزال بعد الغسل

❖ مسألة (٦٧): إذا أنزل بعد الغسل وجب عليه الغسل، سواء كان بعد البول أو قبله فإن رأى بللا دون الإنزال، وكان قد بال لم يجب عليه الغسل، وإن لم يكن بال، كان عليه إعادة الغسل.

وقال الشافعي: إذا أنزل بعد الغسل، وجب عليه الغسل، سواء كان قبل البول أو بعده. (الأم: ج١، ص٣٧)

وقال مالك لا غسل عليه سواء كان قبل البول أو بعده؛ وقال الأوزاعي: إن كان قبل البول، فلا غسل عليه، وإن كان بعد البول فعليه الغسل. (المحلى: ج٢، ص٧)

وقال أبو حنيفة: إن كان قبل البول فعليه الغسل وإن كان بعده فلا غسل عليه. (المبسوط للسرخسي: ج١، ص٦٧)

- وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا إجماع الفرقة، وطريقة الاحتياط، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الماء من الماء»، وذلك عام في كل من أنزل.

وروى عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كان علي عليه الصلاة والسلام لا يرى في شيء الغسل، إلا في الماء الأكبر». (تهذيب الأحكام: ج١، ص١١٩ ـ ١٢٠، ح٣١٥ ـ ٣١٦)

فأما التفصيل الذي بيناه في حكم البلل، فيدل عليه إجماع الفرقة.

وروى معاوية بن ميسرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في رجل رأى بعد الغسل شيئا، قال:

«إن كان بال بعد جماعه قبل الغسل فليتوضأ، وإن لم يبل حتى اغتسل، ثم وجد البلل فليعد الغسل. (الاستبصار: ج١، ص١١٩، ح٤٠٣)

من أمنى من غير أن يلتذ

❖ مسألة (٦٨): من أمنى من غير أن يلتذ به، وجب عليه الغسل.

وبه قال الشافعي وأصحابه. (الأم: ج١، ص٣٧).

وقال أبو حنيفة: لا يجب عليه الغسل، إلا أن يلتذ بخروجه. (المبسوط: ج١، ص٦٧)

ـ وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا ما قدمناه في المسألة الأولى سواء، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الماء من الماء» وقوله عليه السلام: «الغسل من الماء الأكبر» يدل على ذلك.

حكم إسلام الكافر

❖ مسألة (٦٩): الكافر إذا أسلم لم يجب عليه الغسل، بل يستحب ذلك.

وبه قال الشافعي. (نيل الأوطار: ج١، ٢٧١)

وقال مالك وأحمد: عليه الغسل. (حاشية الدسوقي: ج١، ص١٣٠)

ـ وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا إن الأصل براءة الذمة، وإيجاب الغسل على من أسلم يحتاج إلى شرع؛ وأيضا فقد علمنا أن جماعة أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم ينقل أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بالغسل.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«آمره بذلك، لأنه مستحب».

الكافر الذي تطهر من جنابة

❖ مسألة (٧٠): الكافر إذا تطهر أو اغتسل من جنابة، ثم أسلم لم يعتد بهما.

وبه قال الشافعي. (المذاهب الأربعة: ج١، ص١١٩)

وقال النووي لهذه المسألة وجهان، قال: (الثاني تجب إعادته وهو الأصح لأنه عبادة محضة فلم تصح من الكافر في حق الله تعالى كالصوم والصلاة). (المجموع للنووي: ج٢، ص١٥٢)

وقال أبو حنيفة: إنه يعتد بهما. (بدائع الصنائع: ج١، ص٣٥)

ـ وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا ما بيناه من أن هاتين الطهارتين تحتاجان إلى نية القربة، والكافر لا يصح منه نية القربة في حال كفره، لأنه غير عارف بالله تعالى، فوجب أن لا يجزيه.

إمرار اليد على البدن في الغسل من الجنابة

❖ مسألة (٧١): إمرار اليد على البدن في الغسل من الجنابة غير لازم.

وبه قال الشافعي (الأم: ج١، ص٤٠)، وأبو حنيفة، وغيرهما (المحلى: ج٢، ص٣٠)؛ وقال مالك: يلزمه ذلك. (المدونة الكبرى: ج١، ص٢٧)

ـ وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا قوله تعالى: ((حَتَّى تَغْتَسِلُوا)) (سورة النساء، الآية: ٤٣).

وقوله تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا)) (سورة المائدة، الآية: ٦)؛ وهذا قد اغتسل، وتسمى بذلك.

وأيضا الأصل براءة الذمة، وشغلها يحتاج إلى دليل، وعليه إجماع الفرقة.

وروى زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن غسل الجنابة؟ فقال:

«لو أن رجلا ارتمس في الماء ارتماسة واحدة أجزأه ذلك وإن لم يدلك جسده. (تهذيب الأحكام: ج١، ص١٤٨، ذيل حديث ٤٢٢)

وضوء الرجل بفضل وضوء المرأة وبالعكس

❖ مسألة (٧٢): يجوز للرجل والمرأة أن يتوضأ كل واحد منهما بفضل وضوء صاحبه.

وبه قال الشافعي. (عمدة القاري: ج٣، ص١٩٦)

وقال أحمد بن حنبل: لا يجوز للرجل أن يتوضأ بفضل وضوء المرأة (المنهل العذب: ج١، ص٢٧٥)؛ فقال العيني: ذهب أحمد إلى أنها إذا خلت بالماء واستعملته لا يجوز للرجل استعمال فضلها. (العمدة للعيني: ج٣، ص١٩٦)

ـ وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا إجماع الفرقة، وأيضا قوله تعالى: ((فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا)) (سورة النساء، الآية: ٤٣) ولم يفرق.

وروى ابن مسكان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت

له أيتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة؟ قال:

«نعم إن كانت تعرف الوضوء، وتغسل يدها قبل أن تدخلهما الإناء».

وقد روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام أيتوضأ الرجل من فضل المرأة؟ قال:

«إذا كانت تعرف الوضوء، ولا يتوضأ من سؤر الحائض». (الكافي: ج٣، ص١١، ح٤)

الفرض من الغسل

❖ مسألة (٧٣): الفرض في الغسل، إيصال الماء إلى جميع البدن، وفي الوضوء إلى أعضاء الطهارة، وليس له قدر لا يجوز أقل منه، إلا أن المستحب أن يكون الغسل بتسعة أرطال، والوضوء بمد.

وبه قال الشافعي، أي أنه لم يحدد له قدراً معيناً؛ وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي ذر: «فإذا وجدت الماء فامسسه جلدك»، ولم يحك أنه وصف له قدرا من الماء إلا إمساس الجلد. (الأم: ج١، ص٤٠)؛ وقال: (واستحب أن لا ينقص في الغسل عن صاع ولا في الوضوء عن مد). (المنهل العذب: ج١، ص٣٠٦).

وقال أبو حنيفة ومحمد: لا يجزي في الغسل أقل من تسعة أرطال، ولا في الوضوء أقل من مد؛ وقال السرخسي: وأدنى ما يكفي في غسل الجنابة من الماء صاع وفي الوضوء مد. (المبسوط: ج١، ص٤٥)

- وقال الشيخ الطوسي:

دليلنا إجماع الفرقة، وأيضا قوله تعالى: ((فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ)). (سورة المائدة، الآية: ٦)

وقد يكون غاسلا وإن استعمل أقل من الصاع والمد، وأيضا تقدير ذلك يحتاج إلى دليل، والأصل براءة الذمة.

وروى إسحاق بن عمار، عن جعفر ابن محمد، عن أبيه محمد بن علي، أن عليا عليهم السلام كان يقول:

«الغسل من الجنابة والوضوء، يجزي منه ما أجزأ من الدهن الذي يبل الجسد». (تهذيب الأحكام: ج١، ص١٣٨، ح٣٨٥)

فأما الاستحباب فقد روى حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ بمد، ويغتسل بصاع». (الإستبصار: ج١، ص١٢١، ح٤٠٩)

والمد رطل ونصف، والصاع ستة أرطال، وذكر الشيخ في ذيل الحديث: يعني أرطال المدينة، فيكون تسعة أرطال بالعراقي.

واعلم أن الأخبار اختلفت في تحديد الصاع والمد والرطل، فروي عنهم عليهم السلام في ذلك عدة روايات.

روى الشيخ الصدوق قدس سره بسنده إلى المروزي قال: قال أبو الحسن عليه السلام:

«الغسل صاع من الماء والوضوء مد من ماء، وصاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسة أمداد والمد وزن مائتي وثمانين درهما، والدرهم وزن ستة دوانيق، والدانق ست حبات، والحبة وزن حبتي شعير من أوساط الحب لا من صغاره ولا من كباره».

وروي أيضا عن جعفر بن إبراهيم ابن محمد الهمداني قال: وكان معنا حاج قال: كتب إلى أبي الحسن عليه السلام على يد أبي: جعلت فداك، إن أصحابنا اختلفوا في الصاع، بعضهم يقول: الفطرة بصاع المدينة، وبعضهم يقول بصاع العراق؛ فكتب إلي: «الصاع ستة أرطال بالمدني، وتسعة أرطال بالعراقي».

قال: وأخبرني فقال: «إنه بالوزن يكون ألفا ومائة وسبعين وزنا».

وروي بسنده أيضا عن أبي القاسم الكوفي، أنه جاء بمد، وذكر أن ابن أبي عمير أعطاه ذلك المد وقال: أعطانيه رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وقال هذا مد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعيرناه فوجدناه أربعة أمداد، وهو قفيز وربع بقفيزنا هذا. (معاني الأخبار: ج١، ص٢٤٩، باب معنى الصاع والمد والفرق بين صاع الماء ومده وبين صاع الطعام ومده)

والمشهور أن الصاع أربعة أمداد، والمد رطلان وربع بالعراقي، فالصاع تسعة أرطال به، والمد رطل ونصف بالمدني فالصاع ستة أرطال به.

ويمكن الجمع بين روايات الشيخ الصدوق، بحمل خبر المروزي على صاع الغسل، وخبر الهمداني على صاع الفطرة.

والاعتبار والنظر يقتضي الاختلاف، إذ من المعلوم أن الرطل والمد والصاع كل منها كانت في الأصل مكاييل معينة، والأجسام المختلفة يختلف قدرها بالنسبة إلى كيل معين، فلا يمكن أن يكون الصاع من الماء موافقا للصاع من التمر أو الحنطة أو غيرهما من حيث الوزن، لكون الماء أثقل من التمر والحبوب مع تساوي الحجم، والله أعلم بالصواب.

* إعداد: السيد نبيل الحسني

طب الأعشاب الصينية

طب الأعشاب الصينية موجود منذ آلاف السنين على الرغم من أن أول تسجيل تاريخي للطب الصيني يعود الى ما قبل ٢٠٠٠ سنة, ولكن يعتقد بان الطب الصيني واقعا وجد قبل ٥٠٠٠ آلاف سنة. ولنضع بالاعتبار أن الوثائق المسجلة التي كانت تتحدث عن أصول الطب الصيني هي أقدم أسطوريا من التاريخ الصيني نفسه.

وحسبما تقول الأسطورة فان الطب التقليدي الصيني يعود إلى عهد ثلاث أباطرة أسطوريين هم فو تشي, شين نونج, و هوانج دي.

المؤرخون يعتقدون بأن شين نونج و فو تشي كانوا زعماء قبائل.

فوتشي كان بطلا شعبيا وهو من أخترع عناصر اي شينج, أو كتاب التغيرات. النصوص التاريخية سجلت ان «فو تشي رسم العناصر الثمانية, وصنع تسع ابر».

شين نونج الإمبراطور الأسطوري والذي عاش قبل ٥٠٠٠ سنة وكان يطلق عليه «الفلاح الإلهي, او المزارع الإلهي» من قبل الصينيين لأنه يعتبر المخترع للأعشاب الطبية, وقد علم الناس الزراعة. ومن أجل تحديد طبيعة كل عشبة طبية قام شين نانج بأخذ عينات من نباتات متنوعة وقام بتناولها بنفسه للاختبار ولمعرفة تأثيرات كل منها. وحسب ما ذكرت النصوص القديمة فإن شين نونج فحص مئة عشبة منها ٧٠ مادة سامة في يوم واحد, من أجل تخليص الناس من آلام المرض. لكن ليس هناك من تسجيلات مكتوبة تثبت بأن اختراعات شين نونج كان يتم تداولها من جيل إلى جيل.

إن أول وثيقة مكتوبة عن الطب التقليدي الصيني هو «كانون الإمبراطور الأصفر للطب الداخلي» وهو أقدم كتاب طب في العالم على الرغم من اختلاف الآراء حول تأريخه والذي يعود الى ما بين سنة ٨٠٠ و ٢٠٠ قبل الميلاد.والكتاب يضع الأسس الأولية لنظريات الطب الصيني ويلخص ويمنهج الخبرات السابقة و نظريات العلاج والدواء بشكل واسع ومكثف مثل نظرية الميريديان والتي تنص على وجود شبكة من الطاقة تربط كل جزء من الجسم بأجزاء أخرى من الكون والتي تتكون من قنوات تكون مثل الطرق والتي من خلالها تتدفق الطاقة وهذه الطرق تسمى بالميريديان. كذلك يتضمن غيرها من المواضيع مثل الفيزيولوجيا, علم الأمراض, الوقاية, التشخيص, العلاج, الوخز بالإبر ,والكي... الخ.

خلال عهد أسرتي المينك وتشينغ تطورت الطباعة بشكل جيد وتم إنتاج الكثير من النصوص الشاملة والمختصة في الطب الصيني. وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انتشرت كتب الطب الصيني في دول أوربا وأمريكا الشمالية. ولكن وقت التشينغ كان وقت الفوضى عند الشعب الصيني, والتأثيرات الغربية عمت على الصين التي مزقتها الحرب خاصة خلال القرن التاسع عشر حينما الكثير من الدول الأوربية طمعت بالأراضي الصينية. وخلال ذلك العهد اعتبر الأباطرة من أسرة تشينغ التداولي بالإبر الصينية عائقا أمام التقدم العلمي لذلك أصدرت الحكومة سنة ١٨٢٢ قرارا بإلغاء دراسة الإبر

الصينية من المناهج الدراسية في الكلية الملكية للطب. وخلال بداية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) أصبح فن الوخز بالإبر قريبا من الانقراض في الصين.

وفي ثورة ١٩١١ أنهت الثورة سيادة أسرة تشينغ وكانت بداية جمهورية الصين الشعبية. وخلال هذا الوقت اغرم الصينيون بالتطور والحداثة وبدأ الناس بالاتجاه نحو الأدوية الغربية. والحكومة في ذلك الوقت اقترحت إلغاء الطب الصيني التقليدي واتخذت تدابير لوقف تطويرها واستخدامها.

خلال عهد الشيوعية في الصين سنة ١٩٤٩ كان هناك القليل جدا من الخدمات الطبية بل غير موجودة كليا في بعض المناطق لذلك قامت الحكومة بالتشجيع على استعمال علاجات الطب الشعبي الصيني كونها رخيصة ومقبولة عند الصينيين واستعملت المهارات التي كانت موجودة داخل البلد.

وبعدها انتشر الطب الصيني الشعبي ورجعت شعبيته في بداية الخمسينات وأصبح العلاج بالإبر والأعشاب اعتياديا في مستشفيات عدة. وفتحت الكثير من المستشفيات عيادات لإعطاء العلاج وتدريس وبحث الطرق التقليدية. واهم المعاهد الطبية كانت في بيجين, شانجهاي, ونانجنج.

وللأسف بما أن العلاجات الصينية هي نتيجة الثقافة التقليدية الصينية خضعت لمعاناة شديدة أثناء فترة الثورة الثقافية، ابتداءً من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٦ فالأطباء التقليديون تمت إزالتهم من المدارس والمستشفيات والعيادات, وكثيرا من الأطباء القدماء أصحاب الخبرة تم سجنهم أو قتلهم.

وفي سنة ١٩٧٩ تأسست الجمعية الوطنية للطب الصيني وكثيرا من النصوص التراثية تم تعديلها وأعيد نشرها.

وفي سنة ١٩٨٠ منظمة الصحة العالمية نشرت قائمة ب٤٣ نوعاً من الأمراض والتي ممكن علاجها بشكل فعال عن طريق الوخز بالإبر الصينية.

واليوم الطب الصيني التقليدي وبأشكاله المتعددة انتشرت بعيدا حول العالم وأصبحت له شهرة في كل بقاع العالم.

استعمال الإبر الصينية في معالجة حالات البرد الاعتيادية

الإبر الصينية تستطيع ان تعطي علاجا سريعا لأعراض البرد وتساعد الجسم على التخلص من المرض بشكل أسرع.

توضع الإبر عادة على نقاط الميرديان للرئة والأمعاء الغليظة والتي أثبتت القدرة على تنشيط وظائف المناعة.

وأهم منطقة للعلاج عن طريق الإبر لحالات البرد الاعتيادية هي المناطق الموصولة بالأمعاء الغليظة وهي باطن الفراغ التي بين إصبعي الإبهام والسبابة (رأس الرقم سبعة بالعربي).

هذه النقطة فعالة جدا لهذه الحالة لأنها تمنع الألم وتعالج الحالات الخارجية.

فالمرضى غالبا ما يشعرون بتحسن سريع إذا ما زرعت فيها إبرة أو تم تدليكها.

فكل ما تحتاجه من اجل نزلات البرد هو علاج أو علاجين بالإبر بالإضافة إلى وصفة أعشاب لمدة أسبوع، وإذا تم ملاحظة الأعراض وعولجت مبكرا فإنه من المحتمل أن تقضي على البرد في يوم أو يومين من خلال البر الصينية والأعشاب.

نزلات البرد الناتجة عن الرياح الباردة (الاستبراد)

أعراض هذا المرض كالتالي:

حمى, حرارة عالية, عدم إمكان الشعور بالدفء, زكام بمخاط شفاف, سعال ببلغم شفاف, تصلب الرقبة والكتفين, ألم في منطقة ظهر الرأس (خلف الرأس), ضربات قلب أبطأ من المعتاد من الممكن الإحساس بها مباشرة على الجلد.

العلاج عن طريق التعرق هو الأفضل لهذه الحالة لأنها ستدفئ البدن وتدفع بالمرض خارجا عن طريق المسام.

وخلال المراحل الأولى للمرض فان تناول شوربة تحتوي على الأجزاء البيضاء من البصل الأخضر مع زنجبيل طازج سيعطي علاجا جيدا للأعراض.

وحينما تصاحب أعراض الاستبراد حرارة شديدة مع عدم التمكن من التعرق, وصفير عند التنفس, وتصلب بالرقبة فإن العلاج الكلاسيكي هو مستخلص الايفيدرا, وهي عشبة رئيسية في أدوية نزلات البرد ومنشط قوي يفتح التشعبات الهوائية, تدفئ الجسم, وتحفز التعرق.

إن أغصان القرفة تساعد الفيدرا على تدفئة الجسم والتعرق, وبذور الجزر ستساعد على معالجة الصفير أثناء التنفس، والعرقسوس سيعمل على كونه عشبة توازن إذ ستحد من قوة الفيدرا وتقلل من التعرق الزائد عن اللزوم وتقلل من الحرارة, وفيها صفات مضادة للسعال مما يجعلها جيدة لحالات التهاب الحنجرة وأعراض السعال.

- أساسيات الطب الصيني, وايزمان و أليس,منشورات باراديجم, بروكلين, ١٩٩٥.
- فهم الماضي: جدول زمني بتاريخ الطب الصيني, البروفيسور وانج جين هوي الخطاط والباحث في الفلسفة الطاوية والطب الصيني.
- أدوية الأعشاب الصينية: التركيبات و الخطط, بينسكي و بارولیت, منشورات ايست لاند برس, كولومبيا البريطانية, ١٩٩٠.
- تاريخ الطب الصيني التقليدي: (ANSI) معهد المواصفات الوطنية الأمريكية (.org ansi).
- الأدوية التقليدية الصينية: بيل شونبارت و ايلن شيفي.

* إعداد: سيد صفوان جمال الدين

الحمد لله رب العالمين

- كيف نشكر الله تعالى؟

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«كان في الأعصار السابقة عابد يعبد الله سبحانه في كهف جبل صائماً نهاره قائماً ليله، وكان قد أنبت الله سبحانه له على باب ذلك الكهف شجرة رمّان فكان يأكل منها كل ليلة واحدة، ويدّخر منها لشتائه، فبقي يعبد الله تعالى خمسمائة عام تقريباً.

فإذا كان يوم القيامة أمر الله سبحانه بإحضار ذلك العابد فيقول لملائكة الرحمة: إنّي قد عفوت عنه فأدخلوه الجنة بفضلي؛ فيقول العابد: يا ربّ إني عبدتك كثيراً وأريد أن أدخل الجنة بعبادتي.

فيقول سبحانه: أراد منّا العدل، يا ملائكتي زنو عبادته مع ما أنعمت عليه في الدنيا، فتوضع أعماله كلّها في كفّة من الميزان ويوضع في الكفّة الأخرى رمّانة واحدة من ذلك الرمّان فيترجّح الرمانة الواحدة على كلّ ذلك العمل، فيبقى العابد متحيّراً فيقول: يا ربّ ألتمس منك الفضل، فيدخله الجنة».

فهذا قيمة عبادته خمسمائة سنة لما عامله بالعدل؛ هذا مع أنّ التوفيق للقيام بوظائف العبودية ليس إلاّ منه تعالى كما أشير إليه في خبر داود عليه السلام حين أوحى الله إليه أن أشكرني حقّ شكري.

فقال: يا رب كيف أشكر حقّ شكرك والشكر نعمتك تستحق عليه شكراً؟

فقال الله تبارك وتعالى: يا داود، إذا عرفت أنّ ذلك منّي فقد شكرتني. (عبر من التاريخ: ص٣٧)

لولا الأمل لبطل العمل

في الحديث أنّ نبي الله سليمان عليه السلام مرّ على رجل يعمل بمسحاته فوقف قربه فقال: اللهم انزع من قلبه آمال الدنيا، فنزعها الله سبحانه فألقى الرجل مسحاته وجلس.

ثم قال عليه السلام بعد ساعة: اللهم ألقِ في قلبه الأمل، فقام إلى مسحاته وحرث.

فتقدّم إليه سليمان عليه السلام وقال له: يا عبد الله كيف جلست ثمّ قمت؟

قال الرجل: قد فكرت أنّ هذا الذي أحرثه لعلّي لا أبقى إلى أوانه فلم أزرعه؟ فجلست.

ثمّ فكّرت بأنّ الإنسان لابدّ له من خير يعيش به في الدنيا، ثمّ قمت إلى مسحاتي. (الأنوار النعمانية: ج٣، ص١٠٥)

كما أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له:

«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

فعمل الإنسان يجب أن يكون لآخرته لا لدنياه، لأن هذه الدنيا الفانية للزوال، فيبقى عمل المرء ينجيه في الآخرة، إن كان قد عمل لآخرته فسيرى المحصول، وإن كان قد عمل لدنيا فهو قد ترك الدنيا وذهب إلى الآخرة، صفر اليدين.

بعض الوعّاض للخليفة العباسي

روي أنّ بعض الوعّاظ دخل يوماً على الخليفة العباسي هارون، فقال: عظني.

فقال له: أتراك لو منعت شربة من ماء عند عطشك بم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي.

قال: أتراها لو حبست عنك عند خروجها بم كنت تشتريها؟ قال: بالنصف الباقي.

قال: فلا يغرّنّك ملك قيمته شربة ماء وخروجه. (الأنوار النعمانية: ج٢، ص٣٨٣)

فانظر أيّها العاقل كم تتناول في يومك وليلتك ممّا يساوي ملك هارون، ويزيد عليه أضعافاً، فما قيمة عبادتك وما توقّعه منك في يومك وليلتك، فلو جعلت لله تعالى نفساً تقول فيه: لا إله إلا الله؛ قال الله تعالى: ((وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)). (سورة غافر، الآية: ٤٠)

❖ إعداد: محمد رزاق صالح

هل تعلم؟

هل تعلم بأنك لا تستطيع تذوق الطعام بدون لعاب.

هل تعلم بان الأوكسجين السائل لونه أزرق.

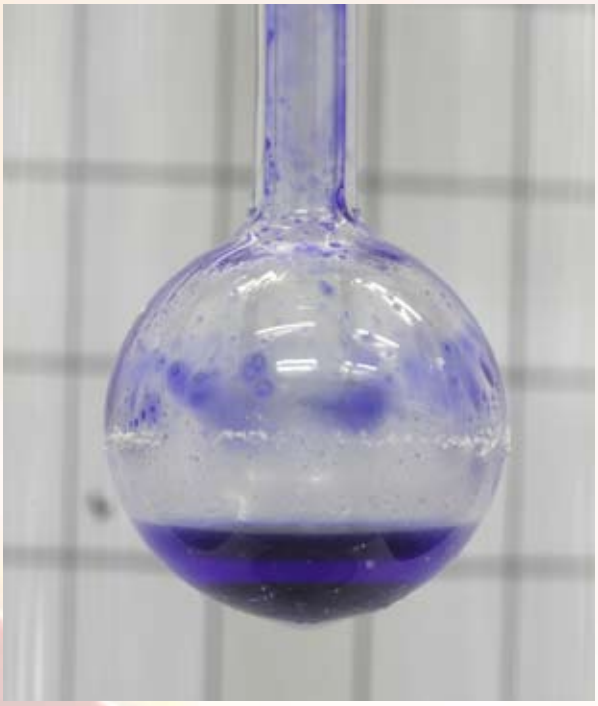

هل تعلم بان دماء سرطان البحر شفافة إلى أن تتنفس الأوكسجين فتتقلب زرقاء.

هل تعلم بان البيض الطازج يغرق بالماء ولكن البيض القديم يطفو.

هل تعلم بأن ٧٨٪ من الدماغ عبارة عن ماء.

هل تعلم بأن ضربة الصاعقة ممكن أن تبلغ حرارتها ٣٠٠٠٠ درجة على مقياس سيلسيوس.

هل تعلم بأن أقسى المواد الكيماوية في جسدك هي مينا الأسنان.

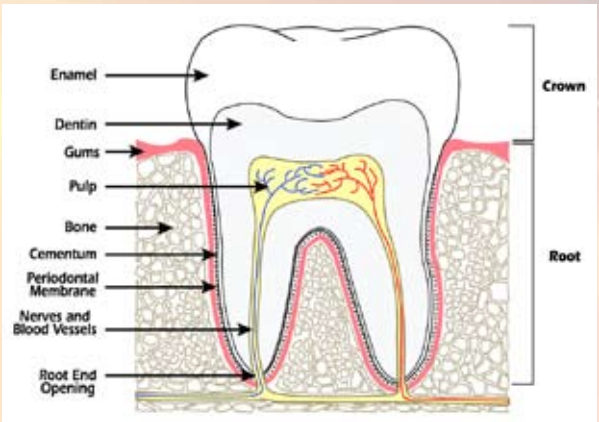

❖ إعداد: سيد صفوان جمال الدين

إعلان إلى القراء الكرام

تعلن رئاسة تحرير مجلة الوارث عن رغبتها لإستقبال مشاركات القراء من المقالات الرصينة بما يتناسب مع منهج المجلة.

وسوف يتم نشرها في أعداد المجلة تباعاً.

علماً أن لا يقل عدد كلمات المقال عن ٥٠٠ كلمة، ولا يتجاوز عن ٢٠٠٠ كلمة.